المواطنة والوطنية المعتدلة

في

فلسفة ستيفن ناثانسون

د . ثناء عبد الرشيد محمد د. جميل أبو العباس زكير

مدرس الفلسفة السياسية مدرس الفلسفة الحديثة والمعاصرة

كلية الآداب جامعة جنوب الوادي كلية الآداب – جامعة المنيا

الـمـسـتـخـلـص:

تعد قضية المواطنة والوطنية من القضايا المهمة التي شغلت كثير من المفكرين، والفلاسفة، ودعاة السلام العالمي والأخلاق، من بين هؤلاء ستيفن ناثانسون الذي تناول القضية من منظور سياسي، وأخلاقي، وعالمي؛ حيث دعا للمواطنة العالمية المرتبطة بالمنفعة العامة، وخاصة من منطلق نفعية القواعد الأخلاقية، كما كان لاهتمامه بالوطنية النصيب الأكبر في فلسفته، فأوضح المقصود بها، وفرَّق بين أنواع الوطنية المختلفة التي اتفق معها في جانب واختلف معها في جوانب أخرى، وقدَّم نوعًا جديدًا للوطنية سماه "الوطنية المعتدلة"، وحدَّد سمات الوطني المعتدل، وموقفه من التحيز والحيادية تجاه مواطني الدول الأخرى، وأكد أن ضياع الوطنية ذات الطابع العالمي والإنساني هو الطريق لنشوب الحروب واندلاعها.

الكلمات المفتاحية: المواطنة، الوطنية، ستيفن ناثانسون، الشوفينية، معاداة الوطنية، الوطنية المعتدلة، الأخلاق، السلام.

Abstract

The issue of citizenship and patriotism is one of the important issues that preoccupied many thinkers, philosophers, and advocates of world peace and ethics, one of them is Stephen Nathanson, who addressed the issue from a political, moral and global perspective. He called for global citizenship associated with public benefit. As he was interested in patriotism, the largest part of his philosophy dealt with this theme, he explained the meaning of it, and the difference between the different patriotic types that agreed with them on one side and disagreed with in other aspects, and introduced a new kind of patriotism called "moderate patriotism", and identified the characteristics of the moderate patriotic, and his attitude towards prejudice and impartiality towards the citizens of other countries, And stressed that the loss of patriotism of a universal and humanitarian character is the way to war and its outbreak.

key words:

Citizenship – patriotism - Stephen Nathanson – chauvinism - Anti-patriotism - moderate patriotism – morals - peace.

مقدمة

لقد شغلت قضية المواطنة والوطنية حيزًا كبيرًا في فكر كثير من الفلاسفة والمفكرين، ودعاة السلام المعاصرين؛ نظرًا لانسلاخ فئة ليست بالقليلة من جنس بني البشر عن فطرتهم الإنسانية السوية، فنصبوا العداء لكل مَنْ يخالفهم الرأي، أو الفكر، أو المعتقد، أو الوطن، أو الجنسية، أو القومية... إلخ، سواء على المستوى العالمي أم الإقليمي أم المحلي.

ولم يقتصر الأمر على العداء الفكري فحسب، بل تعدَّاه إلى مرحلة بلغت به التطرُّفَ، والعنفَ، والقتل، والإرهاب، فأضحى العالم محفوفًا بالمخاطر من كل جهة؛ إذ لم يترك هذا التطرف دِينًا، ولا مذهبًا، ولا بلدًا على صعيد المعسكر الشرقي أو الغربي إلا وكان له منه نصيبٌ.

على هذا الأساس كان لا بُد من ظهور فلسفات سياسية وأخلاقية تعيد لأصحاب الفكر المضطرب رُشدَهم وصوابهم. ومن هنا ظهرت اتجاهات مناهضة لفكرة اللاوطنية، وصلت إلى مرحلة المغالاة في حب الوطن وتقديسه إلى أبعد الحدود، دون مراعاة للقيم الإنسانية السامية. وفي المقابل نتجت اتجاهات معادية لفكرة الوطن والوطنية على السواء، ومن بين هذه وتلك انبثق اتجاهٌ ثالث أراد أن يتفادى عيوبَ كلٍّ من الاتجاهين المذكورين.

وانطلاقًا من قول أوليفر وندل هولمز Oliver Wendell Holmes[1]: "الوطن هو المكان الذي نحبه، فهو المكان الذي قد تغادره أقدامنا لكن قلوبنا تظل فيه"[2].

([1]) أوليفر وندل هولمز (4 مارس 1841– 6 مارس 1935) طبيب، وكاتب، وشاعر أمريكي.

([2]) موقع حكم http://www.hekams.com/

واعترافًا بفضل الوطن ومكانته، وبأهمية الإنسان وإنسانيته، أثارتنا الضرورةُ الملحة للبحث في قضية المواطنة والوطنية عمومًا، وعند ستيفن ناثانسون خصوصًا.

تساؤلات البحث:

تكشف لنا تساؤلات البحث في قضية المواطنة والوطنية عند ستيفين ناثانسون نتيجةَ الصراع بين الهُوية الوطنية والعولمة من زاوية، وضرورة معالجة التفرقة بين المواطنة وقِيمها والوطنية وبواعثها من زاوية أخرى.

في واقع الأمر دأب كثيرٌ من الباحثين والكُتَّاب المعاصرين –في الأدبيات المختلفة– على الحديث عن المواطنة بمعزل عن الوطنية، والخوض في الوطنية دون الالتفات إلى المواطنة، وكأنه لا سبيلَ للجمع بينهما في علاقة واحدة البتة. في حين أن بعضهم الآخر قدَّم المصطلحين بوصفهما مترادفتين. لكن الحقيقة تنبئ أن المواطنة والوطنية شيئان مختلفان، ومتكاملان، ومتلازمان، هكذا ينبغي أن يكون، كما سنوضح في هذه الدراسة.

جراء كل هذا جاءت تساؤلات الدراسة متمثلة في ركنيين أساسيين:

أولهما، يتعلق بقضية المواطنة Citizenship، الذي على إثره نتساءل:

ما المقصود بالمواطنة عند ستيفين ناثانسون؟

تتفرع عن هذا التساؤل تساؤلات عدة من قبيل: مَن ستيفين ناثانسون؟ وما أهم مؤلفاته؟ وما المقصود بالمواطنة؟ وهل ثمة فارق بين المواطنة والوطنية، والمواطنة المحلية والمواطنة العالمية؟

أما الركن الآخر، فيتعلق بمسألة الوطنية Patriotism، وتساؤله: ما المقصود بالوطنية عند ستيفين ناثانسون؟

الذي سوف يجيب عن التساؤلات التي تنبعث منها الفكرة الأخرى للبحث من منطلق أن الوطنية؛ أي حب الوطن والتضحية من أجله، حقٌّ للوطن على مواطنيه، ولكن هل اتفق الفلاسفة جميعهم حول هذا المفهوم للوطنية؟ وهل انطلقوا جميعًا من منظور واحد؛ أخلاقي أو سياسي مثلًا؟ وهل معايير الوطنية ثابتة على مدار تاريخ الفكر الفلسفي؟ وهل تتساوي المغالاة في حب الوطن مع الوطنية العادية، أو أن ثمة وطنيةً معتدلة؟ وهل حب الوطن، أو قدسيته، أو الوطنية أمر مطلق، أم له حدود معينة ينبغي أن نقف عندها؟ وهل المغالاة في حب الوطن أمر محمود أو مذموم أخلاقيًّا؟ وماذا عن التفريط في حب الوطن وعدم الشعور بالولاء والانتماء له؟ وما الوطنية المعتدلة التي نادى بها ناثانسون؟ وما علاقتها بغيرها من القضايا الفلسفية الأخرى؟

هذه الأسئلة سوف يُجاب عنها في ثنايا البحث من خلال طرحنا لموقف ستيفين ناثانسون من المواطنة والوطنية.

أسباب البحث:

تعددت أسباب البحث في هذا الموضوع، وذلك راجع لأسباب عدة:

- معرفة موقف ستيفن ناثانسون من المواطنة.
- وموقفه من الوطنية وأنواعها ورؤيته الجديدة حول الوطنية المعتدلة.
- الرغبة في معرفة علاقة الوطنية بالأخلاق، والفضيلة، والحروب.
- معرفة إمكانية تحقيق الوطنية المعتدلة على أرض الواقع من عدمه.

إضافة إلى حاجتنا لمعرفة ما نجنيه من ثمار قِيَم المواطنة والوطنية في الوطن العربي، وفائدتها، والحثِّ على تنميتها.

أهمية البحث:

لقد تمثلت أهمية البحث في جدَّته على المكتبة العربية –في حدود علمنا– فليست هناك دراسةٌ علمية عربية تناولت قضية المواطنة والوطنية المعتدلة عند ستيفن ناثانسون من منظورها الفلسفي حتى الآن.

بالإضافة إلى محاولة الكشف عن إسهام ناثانسون فيما يتعلق بالوطنية وعلاقتها بالأخلاق والمنفعة العامة، وعلاقتها بالحرب والسِّلْم.

ستيفن ناثانسون فيلسوف أخلاقي وسياسي معاصر، لذا سيكون لدراسة موقفه من المواطنة والوطنية المعتدلة ميزةٌ؛ نظرًا لمعاصرتها الظروفَ العالمية الراهنة.

وكذلك الرد على الفَهْم المتطرف للوطنية، سواء إلى أقصى اليمين أم إلى أقصى اليسار.

كل هذا دعانا إلى الكشف عن أبعاد تلك الدراسة وسبر أغوارها.

أهداف البحث:

هدف البحث الأساسي هو:

– تتبُّع التطور المفاهيمي للمواطنة والوطنية وتطوراتهما.

– معرفة الغرض الأسمى من الوطنية المعتدلة عند ستيفن ناثانسون وأبعادها، وعلاقتها بالفضيلة والحرب.

– تعزيز قِيَم الاعتدال تجاه الولاء للوطن والانتماء له دون إفراط ولا تفريط.

الدراسات السابقة:

أما الدراسات السابقة، فليست هناك رسالةٌ علمية تناولت قضية المواطنة والوطنية المعتدلة عند ستيفن ناثانسون –على حد علمي– إلا بعض الرسائل العلمية التي تعرضت للمواطنة فحسب، ومنها:

– رسالة ماجستير عن: دور تدريس مادة التربية الوطنية في تنمية قيم المواطنة لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، دراسة من وجهة نظر معلمي التربية الوطنية بمحافظة الليث، للباحث: عطية بن حامد بن ذياب المالكي، إشراف الأستاذ الدكتور/ فوزي نصار عباس بنجر، كلية التربية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1429هـ – 1430هـ.

– أثر برنامج تدريبيّ في تنمية مبادئ المواطنة العالميّة لدى معلمي التاريخ في الأردن. لزيد سليمان محمد العدوان، وفضية محمود بني مصطفى، دراسات، العلوم التربوية، المجلَّد 42، العدد 1، الأردن، 2015.

وعلى الرغم من تناول الدراسة لقضية المواطنة العالمية، فقد تناولتها من منظور برنامج تدريبي معين، ومقتصر على أبناء دولة الأردن فقط.

– فلسفة المواطنة وأسس بناء الدولة الحديثة. لمحمد عثمان الخشت، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الطبعة الأولى، 2014.

ورغم حداثة هذا الكتاب ومكانته العلمية المتميزة فقد جاء مقتصرًا على المواطنة فحسب؛ إذ عرض لمفهوم المواطنة لغةً واصطلاحًا وتاريخيًّا، لكنه لم يُشِر لمفهوم الوطنية بمفهومها المعاصر.

– مفهوم الوطنية والمواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر. لإسماعيل نقاز، العدد 6، جامعة سيدي بلعباس.

وعنوان هذه الدراسة يوحي في ظاهره بالتفرقة بين الوطنية والمواطنة، لكنه في باطنه يتعامل مع المصطلحين وكأنهما شيء واحد، وهو المواطنة.

من الملاحظ أن الدراسات التي تناولت قضية المواطنة والوطنية –معظمها أو جلها– اقتصرت على منظور ما، أو فيلسوف معين، لذا جاءت هذه الدراسة كي تعمل على شرح ما هو مستغلق بشأن الوطنية عند ناثانسون وتوضيحه، والتركيز على جمع ما هو متفرق منها.

خطة البحث:

قامت خطة البحث على أربعة عناصر رئيسة، تسبقها مقدمةٌ وتمهيد، وتليها خاتمة، وذلك على النحو التالي:

تمهيد: تطور ستيفن ناثانسون الأكاديمي والفكري

أولًا، مفهوم المواطنة

أ– المقصود بالمواطنة لغةً واصطلاحًا

ب– المواطنة عند ستيفين ناثانسون

ثانيًا، مفهوم الوطنية:

أ– مفهوم الوطنية والفرق بينها وبين المواطنة عمومًا

ب– مفهوم الوطنية عند ستيفن ناثانسون

ثالثًا، أنواع الوطنية:

أ– الوطنية المتطرفة إلى أقصى اليمين (الشوفينية)

ب– الوطنية المتطرفة إلى أقصى اليسار

1– الوطنيون غير الملتزمين بسياسات بلادهم أو أوطانهم أو الخونة

2- دعاة معاداة الوطنية وتشمل (مذهب معاداة الوطنية الداخلية أو أنصار الوطنية العالمية أو القوميين أو الكوزموبوليتية)

رابعًا، الوطنية المعتدلة

1- مفهوم الوطنية المعتدلة

2- الفرق بين الوطنية المعتدلة والوطنية المتطرفة

3- علاقة الوطنية المعتدلة بالفضيلة

4- الوطنية المعتدلة والحرب

5- تقييم الوطنية المعتدلة عند ناثانسون وموقفنا منها

الخاتمة: وقد اشتملت على أهم نتائج البحث، والتوصيات.

ثبتٌ بأهم مصادر الدراسة ومراجعها

منهج البحث:

أما منهج البحث فقد استخدمنا المنهج التحليلي المقارن النقدي؛ حتى يتسنى لنا تحليل الأفكار المتعلقة بالمواطنة والوطنية عند ستيفين ناثانسون المختلفة، وإبراز أهميتها، وموازنتها بعضها ببعض، ونقد الأفكار الهدامة والسلبية.

تمهيد

تطور ستيفن ناثانسون الأكاديمي والفكري

وُلِد ستيفن ناثانسون حوالي عام 1939، وعُمر أبيه ألبير أربعة وثلاثون عامًا، ووالدته لورا ثلاثون عامًا. ثم نشأ وكبر في كنف عائلته في برونكس، بنيويورك، مع والديه وأخيه[1].

حصل ستيفن على درجة البكالوريوس مع مرتبة الشرف في الفلسفة من كلية سوارثمور Swarthmore College، ونال شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة جونز هوبكنز Johns Hopkins، وأصبح أستاذًا فخريًّا في الفلسفة في جامعة نورث إيسترن، بوسطن، ماساتشوستس[2].

مؤلَّفاته المُهمّة :

ألَّف البروفيسور ناثانسون حتى الآن ستة كُتبٍ، وكَتبَ مقالات عدة معظمها حول قضايا الأخلاق التطبيقية والفلسفة السياسية، وما زال عطاؤه مستمرًّا، وأحدث كُتبِه وأهمها: "الإرهاب وأخلاقيات الحرب" (2010) (Terrorism and the Ethics of War 2010). ذلك الكتاب الذي حصل على جائزة أفضل كتاب في الفلسفة الاجتماعية لعام 2010 من جمعية أمريكا الشمالية للفلسفة الاجتماعية[3].

(1) *Stephen Nathanson in the 1940 Census*, by: ancestry, https://www.ancestry.com/1940-census/usa/New-York/Stephen-Nathanson_49qsm, Accessed: 23/6/2019.

(2) *Stephen Nathanson Professor Emeritus*, northeastern University, College of Social Science and Humanities, https://cssh.northeastern.edu/people/faculty/stephen-nathanson/, Accessed: 23/6/2019.

(3) Ann E. Cudd • Win-chiat Lee (Editors) (2016): *Citizenship and Immigration - Borders, Migration and Political Membership in a Global Age*, Springer International Publishing Switzerland, U.S.A., P. viii. Author Bios.

يتناول هذا الكتاب قضايا الإرهاب المعاصر وصوره المتعددة، ثم يعرض للحروب وأنواعها، والقواعد الأخلاقية التي ينبغي الالتزام بها في الحروب، سواء قبل الحرب أم أثناءها أم بعدها، حتى يمكننا أن نطلق عليها حربًا عادلة أو غير عادلة.

بالإضافة إلى ذلك، فهو مؤلف كتاب "الوطنية، والأخلاق، والسلام" (1993) (Patriotism, Morality and Peace (1993)؛ وهو الكتاب الرئيس للدراسة التي بين أيدينا، وفيه يوضح ناثانسون مفهوم الوطنية، وعلاقتها بالأخلاق، والسلام العالمي، وكيفية تنمية هذه العلاقة بينهم.

أما كتاب "العدالة الاقتصادية (1998)" (Economic Justice (1998)، ففيه يعرض للعدالة التوزيعية بين المواطنين[1]، وخاصةً من الناحية الاقتصادية، وكيفية استغلال الموارد، والفائض الاقتصادي، واستثماره استثمارًا عادلًا.

وكتاب "العين بالعين: لا أخلاقية عقوبة الإعدام" (2001 الطبعة الثانية) An Eye for an Eye? The Immorality of Punishing by Death (2nd ed., 2001)[2]. وفيه يُقدم أدلته على رفض عقوبة الإعدام لِما يشوبها من لا أخلاقية القتل، وكيف أنها عقوبة قاسية، بل وحشية، ويتساءل: كيف للدولة أن تُحذِّر من القتل، وهي تستخدمه في عقوبة الإعدام؟!

(1) قارن موقفه بالعدالة التوزيعية عند مايكل ج. ساندل في كتابه: *الليبرالية وحدود العدالة*، ترجمة، محمد هناد، مراجعة، الزبير عروس وعبد الرحمن بوقاف، الطبعة الأولى، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2009.

(2) *Stephen Nathanson Professor Emeritus*, northeastern University, College of Social Science and Humanities, https://cssh.northeastern.edu/people/faculty/stephen-nathanson/, Accessed: 23/6/2019.

وفي عام 2015، حصل على جائزة هوغو آدم بداو Bedau Hugo Adam البحثية لأفضل الأعمال ضد عقوبة الإعدام من مواطني مساتشوستس[1].

وكذلك كتاب: "هل يجب علينا أن نوافق على أن نُحكَم؟ مقدمة قصيرة عن الفلسفة السياسية (2001 الطبعة الثانية) Should We Consent to be Governed? 2nd ed., 2001). وفيه يجيب عن ذلك السؤال: إذا قبلنا بأن نُحكَم فبأي طريقة يكون؟ وهل للأخلاق دورٌ في نظام الحكم؟ هذا بالإضافة إلى مقالات عديدة له[2].

أولًا، مفهوم المواطنة

أ- المقصود بالمواطنة لغةً واصطلاحًا

يبدو مفهوم المواطنة غير واضح المعالم في كثير من الأحوال؛ نظرًا لتأثره بعدد من العوامل: كعامل الزمان، والمكان، والوضع السياسي، والجهة التي تُعرِّفه. ويرجع عدم ثبات هذا المفهوم إلى تعدد الزوايا والأغراض التي يُنظر إليه من خلالها؛ فهناك زاوية قانونية تتعلق بنصوص قانونية، وأخرى ثقافية تتعلق بالعادات والتقاليد، وأخرى سلوكية مرتبطة بالثقافة والقيم. ويراها آخرون من خلال مدى الولاء للنظام السياسي، أو للمذهب، أو للطائفة. كذلك يأتي جزء من غموض هذا المفهوم وعدم ثباته من حقيقة ارتباطه بعدد آخر من المفاهيم، مثل: الولاء، والانتماء، والهوية اللغوية، أو الدينية، أو المذهبية. ومع ذلك، يكاد مفهوم

(1) Ann E. Cudd • Win-chiat Lee (Editors) (2016): *Citizenship and Immigration - Borders, Migration and Political Membership in a Global Age,* P. viii. Author Bios.
(2) *Stephen Nathanson Professor Emeritus,* northeastern University, OP. Cit.

المواطنة يتصف بعدد من العناصر أو السمات المتفق عليها في التشريعات الدستورية، وفي القوانين، وفي الأبحاث العلمية[1].

وهذا كله يدعونا لنتساءل بدايةً: ما المقصود بالمواطنة والوطنية عامةً، وعند ستيفن ناثانسون خاصةً؟

مفهوم المواطنة:

يمكننا أن نعرض لمفهوم المواطنة في اللغة والاصطلاح، ومفهوم ستيفن ناثانسون لها على النحو التالي:

أ- المواطنة لغةً:

لم يختلف مفهوم المواطنة في اللغة العربية كثيرًا عنه في غيرها من اللغات الأخرى.

1- في اللغة العربية:

جاء في معجم المعني الجامع: مُواطنة: (اسم): مصدر واطَنَ، والْمُوَاطَنَة: صِفَةُ الْمُوَاطِنِ. وفي معجم اللغة العربية المعاصر: نزعة ترمي إلى اعتبار الإنسانيَّة أسرة واحدة وطنها العالم، وأعضاؤها أفراد البشر جميعًا. وتَفرِض المواطنة على كل الشعوب احترام حقوق الإنسان، وتسعى إلى عدم التمييز بين أبناء الوطن الواحد وسُكانه الذين ينتمون إليه على أساس الدِّين، أو اللُّغة، أو العنصر، أو الجنس.

---

(1) صفرار، عبد الله بن محمد بن بخيت (2017): *دور شبكات التواصل الاجتماعي في ترسيخ قيم المواطنة من وجهة نظر الشباب الجامعي العُماني*، إشراف الأستاذ الدكتور/ رائد أحمد البياتي، كلية الإعلام- جامعة الشرق الأوسط، عمان - الأردن، 2017م، ص ص 28، 29.

وكون المرء مواطنًا من مواطني دولة ما، له فيها حقوق وامتيازات تكفلها له الدَّولة، وبالمقابل عليه الالتزام بالواجبات التي تفرضها عليه، أُعطي حقَّ المُواطَنة[1].

والمواطنة عند ابن منظور مشتقة من وَطَن، والوطن: المنزل الذي تُقيم فيه، وهو موطن الإنسان ومحله، ووَطَنَ بالمكان وأَوْطَنَ أقام، وأَوْطَنَهُ اتخذه وَطَنًا، وأوطان الغنم والبقر: مرابضُها وأماكنها التي تأتي إليها. والمَوْطِن: المشهد من مشاهد الحرب، وجمعه مَوَاطِن، وفي التنزيل العزيز: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ) [التوبة: 25]، وأوطنتُ الأرضَ ووطَّنتُها توطينًا واستوطنتها: أي اتخذتها وطنًا، وتوطين النفس على الشيء كالتمهيد. أما المَوَاطِن: فكل مقام قام به الإنسان لأمر فهو موطِنٌ له[2].

2- في اللغات الأجنبية:

مصطلح المواطنة في اللغة الإنجليزية هو: (Citizenship)، وهو لغةً كلمةٌ مشتقّةٌ من مصطلح الوطن، وهو المكان الذي يعيش فيه الإنسان. أما في اليونان القديمة فتصنفها بأنها حقٌّ من حقوق الإنسان المدنية، وهو ما أدى إلى اشتقاق اسمها في اليونانية، والإنجليزية، والفرنسية من كلمة City أي المدينة[3].

أما الموسوعة البريطانية فقد عرَّفت المواطنة بأنها:"علاقة بين الفرد والدولة، يَدِين على أساسها بالولاء لتلك الدولة مقابل حمايته، وتتضمن المواطنة الوضع

(1) (معجم المعاني الجامع) مواطنة/https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar. تم الدخول: 2019/2/27.

(2) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(1968): *لسان العرب*، بيروت، دار صادر، المجلد الثالث عشر، ص 451.

(3) خضر، مجد (2016): تعريف المواطنة لغةً واصطلاحًا، ٢٢ يونيو ٢٠١٦. موقع موضوع الإلكتروني، تم الدخول: 2019/3/15. http://mawdoo3.com/.

القانوني للحرية مع المسؤوليات المصاحبة لها، أي أنها تكفل للمواطنين الحقوق السياسية الكاملة (مثل الحق في التصويت، تولي المناصب العامة)، في حين عليه الالتزام بواجبات المواطنة المألوفة (مثل: الولاء، والضرائب، والخدمة العسكرية)[1].

ب- المواطنة اصطلاحًا:

المواطنة: مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي (دولة)، ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول وهو (المواطن) الولاء والانتماء في جميع الجوانب (الدينية، الثقافية، السياسية) وغيرها، ويتولى الطرف الثاني [الآخر] الحماية (الدولة)، وتتحدد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق أنظمة الحكم القائمة[2].

أما التعريف الإسلامي للمواطنة فينطلق من خلال القواعد والأسس التي تُبنى عليها الرؤية الإسلامية لعنصرَيِ المواطنة، وهما: الوطن والمواطن. والمواطنة: تعبير عن طبيعة الصلات القائمة بين دار الإسلام، وبين من يقيمون على هذا الوطن أو هذه الدار من المسلمين وغيرهم[3].

بهذا تضمن المواطنةُ في المنظور الإسلامي لجميع المواطنين حقوقهم؛ لقيامها على التسامح فهي تحترم الواقع، وليست مجرد شعارات، بالإضافة إلى أنها مفهوم إنساني لا عنصري. والمواطنة تتوافق مع وجود مجتمع متعدد الأديان والثقافات. فقد

([1]) (Encyclopedia Britannica, Citizenship, 2016, URL: (https://www.britannica.com/topic/citizenship. Accssed: 12/5/2019.

(2) صفرار، عبد الله بن محمد بن بخيت: مرجع سابق، ص 7.

(3) عرابي، محمد عباس محمد (2013): *دور الأسرة والمدرسة في تنمية الوطنية والمواطنة في نفوس الأطفال*. ندوة ثقافة الطفل الهوية والمتغيرات العصر (17-19 ربيع الآخر 1430هـ)، تم الدخول: 2019/4/15 .22918533=t?f.aspx.http://www.startimes.com

انظر: هويدي، فهمي (1995): *المواطنة في الإسلام*، جريدة الشرق الأوسط، العدد 5902.

قال الله سبحانه وتعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ) [الروم: 22]، وهذا إقرار بتعدد الأمم داخل الدولة الإسلامية لعدم التمييز بين المواطنين، وإذابة الفوارق العنصرية، والطبقية، والدينية[1].

بينما يرى "محمود سفر" أن المواطنة انتماءٌ وموالاة لعقيدة، وقِيم، ومبادئ، انتماء تغمره أحاسيس العزة ويكلله الفخر، وموالاة تعكسها سمات التضحية وتترجمها معاني الإيثار. ويؤكد على أنها (أي المواطنة) التزام أخلاقي تفرضه العقيدة، ويتعايش معه الفرد، وتعيش له الجماعة، وهي في حياة الفرد ضميره الذي يشكل شخصيته وتكوينه[2].

ويؤكد "إبراهيم ناصر" أيضًا أن مفهوم المواطنة هو مفهوم اجتماعي سياسي إنساني متنوع الأبعاد، يتأثر بمستوى النضج الفكري، والسياسي، والتطور الحضاري، والقيم المتوارثة، والمتغيرات العالمية والمحلية[3].

---

(1) المسلاوي، منال عبد المجيد محمود (2015). "تفعيل قيم المواطنة على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع". ورقة عمل، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، عمان، الأردن. مجلة صوت الدعاة، تم الدخول: 2018/4/12. https://www.du3ah.com/

(2) عرابي، محمد عباس محمد: *مرجع سابق*.

انظر:

- القحطاني، سالم على (1998): "التربية الوطنية: مفهومها، أهدافها، تدريسها"، مكتب التربية العربي لدول الخليج، رسالة الخليج العربي، العدد 66.
- سفر، محمود وآخرون (1421هـ): "الوطنية كائن هلامي"، الرياض، كتاب المعرفة، وزارة التربية والتعليم.

(3) ناصر، إبراهيم (2003). المواطنة، عمان، مكتبة الرائد العلمية، ص 48. نقلًا عن: صفرار، (2017): مرجع سابق، ص 33.

على كل، فالتجربة التاريخية للدولة تؤكد على حقيقة دائمة الوقوع، ولصيقة بالدولة المعاصرة، وهي أنه «لم تصل الأمور بحضارة ما إلى أن تصنف الأفراد من دون أي تراتبية معينة، ومن دون أي معطى مسبق، سواء كان دينيًّا، أم حضاريًّا، أم إثنيًّا، أم لونًا، أم جنسًا». ومن ثَم، «فالمواطنة الكاملة عمليًّا غير محققة في الواقع، ولا يمكن تحقيقها بشكل مطلق». وما يمكن الحديث عنه هو المساواة أمام القانون في الحقوق والواجبات العامة[1].

ب- المواطنة عند ستيفين ناثانسون:

عرض ناثانسون لمفهوم المواطنة عرضًا ضمنيًّا يمكننا استكشافه من خلال موقفه من الوطنية وأنواعها كما سيأتي. ولكنَّا سنُجمِل مفهوم المواطنة لديه بأنها: ضرورة سعي الدول إلى التعامل مع مواطني العالم عمومًا –أيًّا كانت دُولُهم، أو دياناتهم، أو أعراقهم، أو جنسياتهم، أو ألوانهم... إلخ– بمنتهى الموضوعية فيما يتعلق بالعدالة والمساواة في الحقوق الأخلاقية والسياسية، دون إفراط أو تفريط.

ويقول ناثانسون كذلك: "تتطلب المواطنة فَهمًا أفضل لكيفية حل التوترات بين التحيز والنزاهة [أو الموضوعية]. ولقد جادلت بأن المنظور الوطني المعتدل يوفر هذا الفهم، ويمكن أن يساعدنا في تجنُّب ما يبدو كأنه (إما/أو) الاختيار بين التحيز الكلي للوطنية المتطرفة والحياد الكلي للعولمة العالمية المتطرفة"[2].

(1) حمزة، مالك حميد (2009): *إشكالية المواطنة في الفكر الإسلامي السياسي*، مجلة أهل البيت عليهم السلام، العدد 9، بغداد، 2009، ص 172.

(2) Nathanson, Stephen (2016): Immigration, Citizenship, and the Clash Between Partiality and Impartiality, in: A.E. Cudd, W.-c. Lee (eds.), *Citizenship and Immigration - Borders, Migration and Political Membership in a Global Age*, AMINTAPHIL: The Philosophical Foundations of Law and Justice 6, DOI 10. Springer International Publishing Switzerland , p. 137.

ويجمع ناثانسون بين التحيز والنزاهة، وذلك بتأكيده على ضرورة أن تقع على عاتق الدول واجباتٌ أكبر تجاه مواطنيها، لكن عليها أيضًا واجبات تجاه غير المواطنين(1).

ويوضح ناثانسون أننا أمام نوعين من المواطنة: إحداهما: متطرفة إلى أقصى اليمين، والأخرى: متطرفة إلى أقصى اليسار. وقد ميَّز بينها بعرضه موقفَ كلٍّ منهما من المهاجرين.

فهو يتساءل: "هل يحق للمهاجرين الطامحين الدخول إلى بلد جديد؟ هل على الدول واجبٌ أخلاقي للسماح بدخول مَن يلتمسون اللجوء، أو أن لها حقًّا أخلاقيًّا في رفض الدخول؟"(2).

ثم يؤكد بأنه سوف يربط هذه الأسئلة بالصدام الأوسع بين أنصار الأخلاق الجزئية التي تشدد على واجبات أشخاص معيَّنين، وبين أنصار الأخلاق المحايدة التي تتطلب معاملة متساوية لجميع الناس. ووفقًا لوجهات النظر الجزئية القوية، فإن الحكومات والمواطنين يقع على عاتقهم واجبات تجاه بلادهم ومواطنيهم فقط، ومن ثَم ليس من واجبهم قبولُ المهاجرين الطامحين.

أما فيما يخص وجهات النظر المحايدة بشدة، فإن الأخلاق تتطلب اهتمامًا محايدًا لجميع الناس، ومن ثَم واجب قبول المهاجرين الطامحين. ونركِّز على مشكلة التحيز مقابل النزاهة لأن حلها ضروري (وإن لم يكن غير كافٍ) لتحديد حقوق المهاجرين الطامحين، وحقوق وواجبات البلدان التي يسعى المهاجرون الطموحون إلى الدخول فيها(3).

---

(1) Ibid.
(2) Ibid.
(3) Nathanson, Stephen (2016): p. 137.

لكن ما الفرق بين المواطنة المحلية والمواطنة العالمية؟ ولأي منهما كان يميل ناثانسون؟

جـ- المواطنة المحلية والمواطنة العالمية، هل ثمة تعارض؟

يذهب بعض الباحثين إلى أن المواطنة والتنشئة عليها تقتصران على المواطنة المحلية فقط، وأنه لا وجود لمواطنة عالمية. من هنا جاء تساؤلنا: ما الفرق بين المواطنة المحلية والمواطنة العالمية؟ وهل ثمة تعارض بينهما؟ وإلى أَيَّتِهُمَا يميل ناثانسون؟

ركزت كتابات القرن العشرين على علاقة المواطنة بتصحيح التفاوتات الاقتصادية بين طبقات المجتمع... في حين ركزت كتابات العقد الأول من القرن الحادي والعشرين على تفعيل مشاركة المواطنين على المستوى الوطني، وكذلك على الساحة العالمية، إذ تزايد ترديد مصطلحات مثل: (المواطنة العالمية Global Citizenship)، و(المواطن العالمي Global Citizen)[(1)].

المواطنة المحلية أو الإقليمية: وهي تعني التمسك بالوحدة الوطنية، ومن ثَم وحدة الأمة على أساس التراكم الثقافي، والمعرفي، والتاريخي، والسيوسيولوجي، والأنثولوجي؛ لأن المواطنة حالة ثقافية، ووطنية قومية، وإنسانية؛ وهي حالة اجتماعية تقدمية؛ إذ لا يجوز لأحد أن يفهم المواطنة في حدودها القُطرية، على أهمية تنميتها في داخل كل قطر، بل عليه أن يعزِّز المفهوم الأوسع لها باعتبارها حالة قومية؛ وعلى اعتبار أن هناك مصيرًا واحدًا وحتميًّا بين أقطار الوطن العربي. وتتحقق هذه الوحدة بالممارسة الحقيقية، والصادقة، والبريئة، والمنزهة عن كل

(1) المعمري، سيف بن ناصر بن علي (2014)، التربية من أجل المواطنة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية: الواقع والتحديات، مجلة رؤى إستراتيجية، عمان، ص 44.

الدعوات الضالة المضللة؛ كالإقليمية، والجِهَوية، والفئوية، والمذهبية والعشائرية، والطائفية، كما تتحقق في الوقت ذاته بالتحرر من كل أشكال التخلف والانحراف والاستعباد[1].

أما المواطنة العالمية: فهناك تفسيرات متعددة لمصطلح "المواطنة العالمية"، والمفهوم الشائع هو أن "المواطنة العالمية" شعور بالانتماء إلى مجتمع أوسع يتخطى الحدود الوطنية ويؤمن بالإنسانية المشتركة. ويشدد الترابط السياسي والاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي، ويُبرز القاسم المشترك بين البشر، ويتغذَّى من أوجه والترابط بين المستويين المحلي والعالمي والمستويين الوطني والدولي[2].

لقد عبَّر محمد إقبال عن المواطنة العالمية؛ إذ قال مَن أهمَّه دِينه أكثر من قوميته... فيما قال من شعر:

أضحى لنا الإسلام دينًا وجميع الكون لنا وطنًا[3].

بعد أن عرَّفنا مفهوم المواطنة المحلية أو الإقليمية والمواطنة العالمية والفارق بينهما يمكننا أن نتساءل: هل الانتماء للمواطنة المحلية (سواء الانتماء لدولة عربية أو للأمة الإسلامية أو العربية) يعني أنها في صراع مع المواطنة الغربية،

---

(1) جمعة، حسين (2006): *الوطن والمواطنة*، مجلة الفكر السياسي، عدد 25، دمشق. ص ص 14.

(2) اليونسكو (2015): *التربية على المواطنة العالمية مواضيع وأهداف تعلمية*، بيروت–لبنان، ص 14. تم الدخول: 2018/7/21. http://unesdoc.unesco.org/

(3) خطاب، حسن السيد (د. ت): *حقوق المواطنة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة*، جامعة المنوفية، عن: محمد إقبال من ديوان "أسرار إثبات الذات"، ص 4. http://saaid.net/book/19/12288.pdf

المتمثلة في العولمة الغربية التي تتزعمها الولايات المتحدة الأمريكية ومَن حالفها؟ وهل ثمة مواطنة عالمية يكون الولاء العام لها، والولاء الخاص للمواطنة المحلية؟

ظهرت رؤيتان متناقضات في هذا الشأن: إحداهما متطرفة إلى أقصى اليمين؛ فلا تؤمن إلا بالانتماء لهويتها فحسب، والأخرى متطرفة إلى أقصى اليسار؛ إذ تؤمن بانصهار كل الانتماءات والهويات في هوية واحدة هي الهوية العالمية دون الولاء لأي انتماء آخر غيرها.

أما عن موقف ناثانسون؛ فنرى أنه يميل إلى المواطنة العالمية المرتبطة بنفعية القاعدة الأخلاقية يتضح ذلك من خلال عدة أشياء:

– فيما يخص أخلاقيات الحرب نجده يؤكد على مبدأ حصانة غير المقاتلين، كما سنوضح فيما يأتي.

– وفي الأخلاق والاقتصاد: يرفض أخلاقيًا تعزيز المصالح الاقتصادية لبلدٍ ما، دون النظر في التأثير على بقية البشر في البلدان الأخرى.

– وفيما يتعلق بالمحافظة على البيئة والتنمية المستدامة والأجيال المقبلة: عندما نقيم الاستجابات لتغير المناخ، هل يجب علينا أن نقدر فقط مصالح الناس الذين يعيشون الآن؟ أم أن علينا واجبات للأجيال اللاحقة التي ستعيش على الأرض عندما نرحل؟ هل يجب أن نكون متحيزين مؤقتين، أم محايدين مؤقتين؟[1]

من أجل تقرير ما الصواب أو الخطأ في هذه الحالات، يجب أن نقرر: هل يجب أن نكون متحيزين تحيزًا خاصًا تجاه الذين تربطنا بهم علاقات خاصة، أو محايدين نسعى لمعاملة الناس جميعًا على قدم المساواة. إذا تمكَّنا من حل هذه المشكلة،

(1) Stephen Nathanson (2016): ***Immigration, Citizenship, and the Clash Between Partiality and Impartiality,*** **P. 140.**

فسنكون في وضع أفضل لتحديد الواجبات الملقاة على عاتقنا تجاه المهاجرين، وتجاه بني جلدتنا من المواطنين[1].

لا يتفق شنابر وباشولييه مع ناثانسون بتأكيدهما أن المواطنة أساس الشرعية السياسية، فالمواطن لا يُعد فردًا في دولة القانون فقط، بل إنه يتمتع بجزء من السيادة السياسية... وهي مجموع المواطنين الذين يملكون السلطة، وهي أساس الرباط الاجتماعي؛ ففي المجتمع الديمقراطي الحديث لم يعد الرباط بين الأفراد دينيًّا أو سلاليًّا إنما سياسيًّا، وترتكز العلاقات بين الجميع على قدر متساوٍ من الكرامة[2].

يتضح أن شنابر وباشولييه ركَّزا على المواطنة بالمعنى الضيق (المواطنة في الدولة)، في حين كانت نظرة ناثانسون أوسع وأعمَّ، إذ كان اهتمامه بالمواطنة بالمعنى الإنساني أو العالمي.

كذلك يختلف مفهوم ناثانسون للمواطنة عن مفهومها عند الدكتور "محمد عثمان الخشت"، الذي يرى أنها في شكلها الأكثر اكتمالًا في الفلسفة السياسية المعاصرة: الانتماءُ إلى الوطن... انتماءً يتمتع المواطن فيه بالعضوية كاملة الأهلية، على نحو يتساوى فيه مع الآخرين الذين يعيشون في الوطن نفسه، مساواةً كاملة في الحقوق والواجبات، وأمام القانون، دون تمييز بينهم على أساس اللون، أو العِرق، أو الدين، أو الفكر، أو الموقف المالي، أو الانتماء السياسي.

---

(1) Ibid, P. 140.

(2) شنابر، دومينيك و باشولييه، كريستيان (2016): *ما المواطنة*، ترجمة: سونيا محمود نجا، القاهرة، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، ص 10، 11.

ويحترم كل مواطن المواطن الآخر، كما يتسامح الجميع تجاه بعضهم بعضًا رغم التنوع والاختلاف[1].

في هذا التعريف للدكتور "الخشت"، رغم أنه انطلق في وصف حالة المواطنة بشكل دقيق، إلا أنه ركز على المواطنة الأفقية، والتي تكون في الأساس تحصيل حاصل لميزة المجتمع المتسامح، وأغفل المواطنة العمودية التي تبين حالة العلاقة بين المواطن والوطن، والتي إن رَقَتْ [من الرُّقي] توافرت المواطنة الأفقية، وبعدم رقيها تنعدم المواطنة الأخيرة"[2].

من بين هذه الآراء نستطيع أن نقرر أن المواطنة العالمية -في نظرنا- هي الانتماء للجنس البشري أي الولاء للإنسان كإنسان في ذاته بغض النظر، عن عرقه، أو دينه، أو جنسه، أو قُطره... إلخ. في الوقت نفسه الذي يُسمح لكل أصحاب هوية الاحتفاظ بهويتهم التي ينتمون إليها، حتى وإن اختلفوا معنا، وهذا ما دعا إليه الإسلام في أكثر من موضع كما أوضحنا آنفًا.

ثانيًا، مفهوم الوطنية

أ- مفهوم الوطنية والفرق بينها وبين المواطنة عمومًا

كان تركيز ناثانسون على الوطنية أكثر منه على المواطنة، وهذا يجعلنا نتساءل: ما الوطنية؟ وهل ثمة فارق بين المواطنة والوطنية في نظره؟

الوطنية لغةً :

(1) الخشت، محمد عثمان (2014): *فلسفة المواطنة وأسس بناء الدولة الحديثة*، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الطبعة الأولى، ص ص 14، 15.

(2) محمد، عربي لادمي (2017): المواطنة: دراسة في المفهوم القيم والأبعاد، عن موقع المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والاقتصادية والسياسية، بتاريخ: 18 فبراير. تم الدخول: 2018/7/25. https://democraticac.de/

اشْتُقَّ مصطلحُ الوطنية من كلمة وطن التي يُعَرِّفُها لسان العرب لابن منظور بالمنزل الذي يقيم فيه الإنسان، وهو موطن الإنسان، ومحله يقال: أوطن فلانٌ أرضَ كذا وكذا؛ أي اتخذها محلًّا ومسكنًا يقيم فيه. وقال الزبيدي: الوطن منزل الإقامة من الإنسان ومحله، وجمعها: أوطان[1].

مصطلح الوطنية: (بالإنجليزية: Patriotism) مر بخط تطور مختلف نسبيًّا وارتبط بظهور الدولة القومية. وحرب الثمانين عامًا الهولندية كانت نقطة تحوُّل مهمة في مغزى الوطنية. يعود أصل المصطلح إلى كلمة (يونانية: πατριώτης – باتريوتيس) التي استُخدمت في اليونان القديمة لوصف البرابرة وتمييزهم حصريًّا. كلمة (πατριά – باتريا) تعني عشيرة، وأراد اليونانيون الذين يعودون إلى دولة مشتركة تمييزَ أنفسهم عن البرابرة المنظمين عشائريًّا. دخلت الكلمة إلى اللغات الرومانسية في القرن السادس عشر، وأصبحت قيد الاستعمال في اللغة الانجليزية خلال العصر الإليزابيثي[2].

الـوطنـيـة اصطلاحًـا :

الوطنية مفهوم حديث، لكن لها امتدادات قديمة تتمثل في حب الديار؛ ذلك الشعور الغريزي الذي يبدأ بدائرة انتماء للأهل، ثم تتسع الدائرة للبلدة [القرية]، ثم تتمدد للمنطقة، ثم للبلد [الدولة]، ثم للحضارة، ثم للعالم الإنساني.

(1) ابن منظور(1968): لسان العرب، 451/13 مادة وطن.

– الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى (2001): تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت، 362/9 مادة وطن.

(2) Barnhart, Robert K., ed., (1988): *Barnhart Dictionary of Etymology*, H.W. Wilson Co., https://www.etymonline.com/word/patriot, Accessed: 12/6/2019 .

لكي نحدد المفهوم الحديث للوطنية سيدخل في المعايير مع الحدود السياسية الراهنة الشعورُ العاطفي التلقائي، والتاريخُ، والجغرافيا الطبيعية... تركيبة تدمج بين المعنوي والمادي، وبين الماضي والحاضر. وإذا شئنا التعريف فـ"موسوعة ستانفورد الفلسفية" تُعرِّف الوطنية باختصار بأنها: «حب الإنسان لوطنه»؛ موضحة أن هذا يجسد المعنى الأساسي للمصطلح في الاستخدام العادي[1].

إن دوائر الانتماء للوطن قد تذوب حدود إحداها في الأخرى الكبرى، أو على العكس يحدث بإحداها تصلُّب رافضةً الانفتاح؛ وخيرُ مثال للأول هو ما عبر عنه أبو الفلاسفة اليونان سقراط Socrates (469 ق. م–399 ق. م): "أنا لست مواطنًا يونانيًّا؛ لأن وطني الصحيح هو العالم كله، وكل من هو إنسان فهو مواطني". بينما تلميذه أفلاطون Plato (427 ق. م–347 ق. م) يرى خلاف ذلك في قوله: "نحن لم نولد من أجل أنفسنا، بل من أجل وطننا"[2].

بهذه الكلمات عبَّر سقراط عن الوطنية، في حين عبَّر أفلاطون عن المواطنة.

الفرق بين الوطنية والمواطنة:

يرتبط مفهوم الوحدة الوطنية ارتباطًا كبيرًا ومباشرًا بمفاهيم اجتماعية أخرى، فيرتبط مفهوم الوحدة الوطنية مثلًا بمفاهيم مثل: الانتماء والولاء، وغيرها. ولعل مفهوم الانتماء والولاء يراه البعض قيمًا محددة تؤدي في النهاية إلى تحقيق الوحدة داخل الوطن، ومن ثَم الوحدة الوطنية. ويظهر مفهوم آخر قد يكون متلاصقًا

---

(1) الحبيب، عبد الرحمن (1434هـ): *هل ستنتهي الوطنية الحديثة؟* مجلة الجزيرة الإلكترونية، العدد 14851، الاثنين 17 رجب، الرياض، المملكة العربية السعودية، تم الدخول: 2019/6/28. http://www.al-jazirah.com/2013/20130527/ar2.htm

(2) المرجع نفسه.

لمفهوم الوحدة الوطنية والمتمثل في مفهوم المواطنة، وهذه مفاهيم متداخلة لا تخرج عن نطاق مفهوم الوحدة الوطنية[1].

نرى أن هذا التقارب شابَهُ نوعٌ من الخلط بين المفاهيم بعضها ببعض؛ فرغم أن مفهوم المواطنة يشترك مع مفهوم الوطنية في بعض القيم الثابتة، فإنهما ليسا وجهين لعملة واحدة.

فالمواطنة Citizenship: هي صفة المواطن التي تحدد حقوقه وواجباته الوطنية، حيث يعرف الفرد حقوقه ويؤدي واجباته عن طريق التربية الوطنية. وتتميز المواطنة بنوع خاص بولاء المواطن لبلاده وخدمتها في أوقات السلم والحرب، والتعاون مع المواطنين الآخرين في تحقيق الأهداف القومية[2].

أما الوطنية Patriotism: في كل مظاهرها عبارة عن الدافع الذي يؤدي إلى تماسك الأفراد وتوحدهم، وإلى ولائهم للوطن وتقاليده والدفاع عنه. ويتكون الشعور بالوطنية منذ سنوات التنشئة الأولى، ومن ارتباط الفرد في أول عهده بالبيئة المباشرة. والمشاعر التي تتولد لدى الوطني قد لا تستند إلى التفكير بقدر ما تستند على استجاباته العاطفية[3].

---

(1) الكندري، يعقوب يوسف (2008): دور التنشئة الاجتماعية والإعلام والمجتمع المدني في تحقيق الوحدة الوطنية"، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر الوحدة الوطنية، رابطة الاجتماعيين، 24- 2008/3/25. الكويت، ص 9.

(2) بدوي، أحمد زكي (1978): *معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية*، إنجليزي، فرنسي، عربي، بيروت، مكتبة لبنان، ص60.

(3) المرجع نفسه، ص 307.

وتعرِّف كذلك "الموسوعة العربية العالمية" الوطنية بأنها:"تعبير قويم يعني حب الفرد وإخلاصه لوطنه الذي يشمل الانتماء إلى الأرض، والناس، والعادات والتقاليد، والفخر بالتاريخ، والتفاني في خدمة الوطن"[(1)].

من هنا نتوصل إلى أن المواطنة هي موقف الدولة تجاه المواطنين من أجل تحديد ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات. أما الوطنية فهي موقف المواطن الفعلي–الذي تمتع بامتيازات المواطنة– تجاه دولته لما يحركه من دافع الحب والارتباط بالوطن.

إن هذا يعني أن صفة الوطنية أكثر عمقًا من صفة المواطنة، أو أنها أعلى درجات المواطنة؛ فالفرد يكتسب صفة المواطنة بمجرد انتسابه إلى الجماعة أو دولة معينة، ولكنه لا يكتسب صفة الوطنية إلا بالعمل والفعل لصالح لهذه الجماعة أو تلك الدولة، وتصبح المصلحة العامة للدولة لديه أهم من مصلحته الخاصة[(2)].

من ناحية أخرى فالوطنية تعني: المشاعر العاطفية والوجدانية التي تتكون عند الفرد تجاه الوطن أو الأرض التي يحبها. أما المواطنة: فهي الممارسات، والسلوكيات، والأفعال التي يجب على الفرد أداؤها في صورة منسجمة مع قوانين الوطن، وأنظمته، وأمنه، وسلامته، وحمايته[(3)].

---

(1) الموسوعة العربية العالمية (1996): الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ص 110.

(2) صباغ، علي (2014): *نحو عصر جديد في تربية المواطنة*، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية– مركز جيل البحث العلمي– الجزائر، العدد الثاني، ص 110.

(3) الدريس، زياد (2014): *الوطنية والمواطنة*، مجلة الحياة السعودية، بتاريخ: 26 سبتمبر 2018. تم الدخول: 2019/7/6. http://www.alhayat.com/article/4604491

ب- مفهوم الوطنية عند ستيفن ناثانسون:

يذهب ناثانسون إلى أن شعورنا تجاه أبناء وطننا لا يخرج عن كونه: إما شعورًا بالتشابه، أو مجرد التعارف. قد نكون فخورين بشدة بانتمائنا لحضارتنا، أو التي نعيش في كنفها، أو قد نكره معظم صفاتها ونغضب من عيوبها. هذا لا يغير حقيقة أننا مرتبطون ارتباطًا لا ينفصم. تبدو البلد [الوطن] مجموعةً لا مفر منها نُولَد فيها، تجعلنا من نوع معين من مواطني العالم، تبدو أنها حقيقة أساسية لوعينا، تعبر عن الحد الأدنى المتعذر أو الذي يصعب رفضه أو استثناءه[1].

هنا يوضح ناثانسون أنه مهما تشابه أبناء الوطن الواحد، ومهما اختلفوا فيما بينهم من قضايا، إلا أن القضية الوحيدة التي لا يمكنهم الاختلاف حولها هي: قضية الانتماء للوطن، والتفاني من أجله.

يوضح ناثانسون موقفه من خلال التمييز بين "واجب أن تكون وطنيًا a duty to be patriotic" وبين "الواجبات الوطنية 'patriotic duties'". إنه يرفض الأولى، ويؤكد على الأخيرة: فإذا كان الشخص وطنيًّا، فهناك "واجبات تتماشى مع هذا الالتزام"، تمامًا مثل "ليس من الواجب أن تكون والدًا أو معلمًا، ولكن إذا أصبح المرء أيًّا منهما، عليه أن يتولى الواجبات التي تتناسب مع الدور المنوط به، سواء أكان أبًا أم معلمًا". ومع ذلك، لا يوضح ناثانسون كيف "يصبح" المرء وطنيًّا: على عكس حالتَي المعلم أو الوالد، لا توجد طريقة واضحة ومعترف بها اجتماعيًّا لتصبح واحدة. نتيجة لذلك، قد يكون التفكير في عملية اكتساب الواجبات الوطنية غامضًا إلى حد ما[2].

(1) Nathanson, Stephen (1993): *Patriotism, Morality, and Peace*, Rowman & Littlefield Publishers, INC, U.S.A. P.60.

(2) Primoratz, Igor and Pavković, Aleksandar (2007): *Patriotism Philosophical and Political Perspectives*, Ashgate Publishing Limited, U.S.A. PP.5,6.

يقصد أن الوطنية أمر لا ينبغي إكراه المرء عليه، بل يشعر به من تلقاء نفسه حال تحمله المسئولية؛ أي أنها مكتسبة وليست فطرية.

تسعى صراحة ناثانسون إلى تسهيل التعاون في القضايا الأخلاقية والسياسية بين أتباع وجهات النظر الفلسفية المختلفة[1].

يتفق فيلسوف القانون مونتسكيو Montesquieu (1689–1755) مع ناثانسون في تعريف الأول للوطنية الحديثة بقوله: "إن كنت أعرف شيئًا نافعًا لي وضارًا بأسرتي فإني أخرجه من عقلي، وإن كنت أعرف شيئًا نافعًا لأسرتي لكنه غير ذلك لوطني فإنِّي أسعى لنسيانه، ولكن إن كنت أعرف شيئًا مفيدًا لوطني لكنه ضارٌّ بالإنسانية فإني أعتبره جريمة! ويعرف الفضيلة التي رهن معناها بالسياسة بأنها «الفضيلة» عنده في الجمهورية تعني: حب الوطن؛ أي: حب المساواة، إنها ليست فضيلة خلقية، ولا فضيلة نصرانية، مطلقًا، بل سياسية[2].

إذا كانت "الوطنية" كلمة "فضفاضة"، فهذا يعني أنه ليس بالضرورة أن يكون كل شخص "وطنيًّا"؛ فالوطني الحقيقي هو ذلك الشخص الذي يضع المصلحة العامة فوق كل اعتبار، ويتجرد من كل الميول والأهواء النفسية لصالح "وطنه"، سواء أكان ذلك الشخص إداريًّا، أم عسكريًّا، أم صاحب أي وظيفة مهما كانت طبيعتها[3].

في الواقع يخلط بعض الأشخاص بين الانتماء للوطن نفسه وبين مَن بيدهم مقاليد الحكم في الوطن، وبالمثل لا يُمَيِّزون بين كراهية الوطن وبين كراهية

(1) Ibid. P.6.

(2) مونتسكيو (2013): *روح الشرائع*، ترجمة، عادل زعيتر، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص 46.

(3) ولد سيدي، محمد (2019): *ميلاد جديد يعزز الوحدة الوطنية؟* جريدتي، بتاريخ: 2019/1/29، تم الدخول: 2019/7/21. http://jeridety.com/01292019-0140

الأشخاص الذين يمثلون الوطن من المسئولين، أي مَن يمتلكون حق التعبير عن الوطن.

يؤدي سوء الفهم هذا إلى الوقوع في إشكالية عدم التفرقة بين الوطني الحقيقي والوطني الزائف، ومن ثَم يولِّد -أي سوء الفهم- بطبيعته ألوانًا من الحقد، والكراهية، والضغينة بين أفراد الوطن الواحد بحجة ادعاء كل منهم أنه أكثر وطنية من الآخر!

وهذا بدوره يجعلنا نتساءل: كيف يمكننا التفرقة بين هذين الصِّنفين من البشر؟

ليس من السهل الإجابة عن هذا السؤال، ورغم ذلك حددها ناثانسون في أن مَن تتوافر فيه الصفات الآتية هو الوطنيُّ الحقيقي، ومَن سواه فيتمتع بوطنية زائفة.

يؤكد ناثانسون أن ثمة روابط تجمع بين أبناء الوطن الواحد، سواء بالإيجاب أم بالسلب، وأن أي مؤثرات خارجية لا يمكنها أن تؤثر بحال من الأحوال على هذا الانتماء للوطن، والتفاني من أجله، وتقديم مصلحته على أي مصلحة أخرى.

لقد حدد ستيفن ناثانسون في كتابه «الوطنية، والأخلاق، والسلام» مفهوم الوطنية بأنه ينطوي على أربع مواصفات يمكن إجمالها على النحو التالي[1]:

1- تعلق خاص بالوطن

أي حب الإنسان لدولته موطن مولده، والإخلاص للوطن، والإيمان بقيمته وقدره.

2- الشعور بالتطابق الشخصي بين الشخص ووطنه

(1) Nathanson, Stephen,(1993): *Patriotism, Morality, and Peace*, Lanham: Rowman & Littlefield, pp. 34,35.

أي شعور المرء بأنه جزء من وطنه ووطنه جزء منه، فيحبه، ويغار عليه ويتفانى من أجله.

3- حرص خاص على صلاح الوطن وخيره

أي ضرورة أن يحرص المواطن على رفاهية وطنه، وأن يحافظ على مقدراته من الإتلاف أو العبث بها.

4- الرغبة في التضحية من أجل تعزيز مصلحة الوطن

بمعنى ألَّا يكون حب الوطن مجرد شعارات زائفة أو أمنيات تتبخر حال أول تجربة واقعية لها، بل ينبغي أن تكون التضحية من أجل الوطن صادقة ونابعة من القلب، ويجب أن تُقدَّم مصلحة الوطن على أي مصلحة أخري، سواء أكانت شخصية أم حزبية... إلخ.

ومن ثَم فإن الوطنية، بطرق معينة، ظاهرة محددة للغاية، ولكنها ليست فريدة من نوعها تمامًا. فإذا أخذنا التعريف البسيط لها بوصفها "حب البلاد"، فإن الوطنية تعني مجموعة فرعية من فئة أكبر من المحبة، تنطلق من محبات أخرى بحقيقة أن هدفها بلدٌ وليس شخصًا معينًا، أو جماعة، أو كيانًا جماعيًّا محددًا (مثل الدين، أو العرق، أو الثقافة). ترتبط الوطنية أيضًا بأفكار حول الولاء Loyalty لبلد الفرد، وتشير فكرة الولاء إلى أنواع معينة من السلوك كالملاءمة أو عدم الملاءمة. هنا، أيضًا، لا يمثل الولاء للدول سوى حلقة ولاء ضمن سلسلة ولاءات لمختلف الأفراد، والجماعات، والكيانات[1].

يلاحظ ناثانسون أن الولاء loyalty غالبًا ما يعادل مباشرة الوطنية. ويذكر، مع ذلك، أن هذا ليس هو الحال في الواقع، بحجة أنه في حين أن الوطنيين يُظهِرون

(1) Nathanson, Stephen (2009): *Patriotism, War, and the Limits of Permissible Partiality*, Springer Science+Business Media B.V., U.S.A. P.401.

الولاء، فلا يعكس هذا أن جميع الأشخاص المخلصين [الذين لديهم ولاء للوطن] وطنيون. ويقدم مثال الجندي المرتزق، الذي يُظهر الولاء للشعب أو البلد الذي يدفع له، حيث يشير ناثانسون إلى الاختلاف في الدوافع بين المرتزق المخلص والوطني. فقد يكون الدافع وراء الجندي المرتزق هو الإحساس بالكفاءة المهنية أو الإيمان بقدسية العقود. بالمقابل، قد يكون الدافع وراء الجندي الوطني هو العاطفة، والاهتمام، والهوية، والرغبة في التضحية[1].

ثالثًا، أنواع الوطنية

في هذا المبحث سوف نجيب عن سؤال: ما أنواع الوطنية؟ أو بمعنى آخر هل الوطنية تنقسم إلى أنواع، إذ يمكننا القول: إن هذا الرجل وطني من الدرجة الأولى، وذاك وطني من الدرجة الثانية، أو الثالثة، أو حتى منعدم الوطنية؟

إن الوطنية –كما يراها ناثانسون– هي المثالية التي تجعل كثيرًا من المفكرين غير متفقين حول مفهوم معين بشأنها؛ إذ يجدون صعوبة في تصنيف أنفسهم على أنهم "وطنيون"؛ لأنهم غير راضين عن طقوس الولاء الوطني ورموزه، ولأنهم قلقون [متخوفون] من أن الولاء الوطني يعني اللامبالاة أو العداء لشعوب الدول الأخرى؛ نظرًا لأنهم يدينون الشوفينية الوطنية Chauvinism، ويشعرون بالانزعاج من الارتباطات بين الوطنية Patriotism، والعسكرة Militarism[2]، والولاء الأعمى Blind Allegiance، وينأون بأنفسهم عن استخدام كلمة "الوطني"[1].

---

(1) Nathanson, Stephen (1993): *Patriotism, Morality, and Peace*, Rowman & Littlefield Publishers, INC, U.S.A. PP.106:109.

(2) شوفينيَّة العسكر الوطنيَّة: تلك الشوفينية التي لم يجعل أتباعها من أنفسهم منتسبين للوطنيَّة، بل جعلوا من أنفسهم الوطنيَّة ذاتها، فَهُمُ الوطن والوطنيَّة مجسَّدةٌ في الواقع، وموالاتهم موالاة للوطن، ومعارضتهم خيانة له، وما يتّخذونه من قرارات هو مصلحة الوطن. انظر: عبد الرازق، عماد الدين إبراهيم (د.ت): *الشوفينيّة بحث في المصطلح وتاريخه*

في الوقت نفسه، مثل هؤلاء الأشخاص لا يريدون أن يعتبرهم الناس مجردين من الولاء. فقد يولون قيمة كبيرة لعديد من الممارسات والتقاليد السياسية لبلدهم، وربما يؤدون حتى واجبات المواطنة بضمير حي. إنهم لا يعتبرون أنفسهم غير وطنيين unpatriotic، وبالتأكيد لا يريدون أن يُنظر إليهم على أنهم خونة traitors[(2)].

ومع ذلك، يبدو أن لغة الوطنية والولاء تضعهم في موقف محرج. فالقول بأن المرء ليس وطنيًّا يوحي بأن المرء يفتقر إلى الولاء المناسب للمواطنين. فليس من المستغرب إذًا أن يُنظرَ إلى أفكار المواطنين غير الوطنيين في كثير من الأحيان بشيء من الشك؛ لأن افتقارهم للوطنية يوحي بأنهم لا يمتلكون ولاءً أو اهتمامًا أساسيًّا برفاهية الأمة. ومن ثَم، فإن وجهات نظرهم بشأن السلوك الوطني والسياسة ستبدو وكأنها مشكوك فيها[(3)].

يتضح، إذًا، أنه يجب على المرء إما قبول الوطنية على الرغم من ميزاتها غير المرغوب فيها، أو وضع نفسه في دور شخص خارجي، يكون لمزاعمه حول الرفاهية الوطنية وضع غير موثوق به. والنتيجة بالنسبة للكثيرين هي شكل مزمن من عدم الراحة والأمل في أن يكون موضوع الوطنية بعيدًا عن المناقشات السياسية[(4)].

ومذاهبه الفكرية، سلسلة مصطلحات معاصرة 12، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية العتبة العباسية المقدسة، ص 16. نقله عن: أحمد المومني (2009): *دراسات ومفاهيم حديثة (الثقافة الإسلامية)*، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ص 261.

(1) Nathanson, Stephen (1989): *In Defense of "Moderate Patriotism"*, Ethics, Vol. 99, No. 3 (Apr., 1989), p. 535. Published by: The University of Chicago Press, U.S.A., Stable URL: http://www.jstor.org/stable/2380865Accessed: 23/6/2019.

(2) Nathanson, Stephen (1989): *In Defense of "Moderate Patriotism"*, p.535.

(3) Nathanson, Stephen (1989), p.535.

(4) Ibid.

أما بالنسبة لـ"ناثانسون" فإنه يُقحم موضوع الوطنية في النقاشات الفلسفية والسياسية، فيتساءل قائلًا:"هل الوطنية مسألة جديرة بالاهتمام، ومن ثمَّ علينا تعزيزها ودعمها؟ أو أنها فكرة خطيرة ومدمرة تقود إلى الحرب والعداء؟ إن مصطلحات: الوطنية، والأخلاق، والسلام تُقدِّم لنا أول علاج فلسفي متواصل لهذه الأسئلة، وتمنحنا القدرة على التمييز بين الأشكال المختلفة للوطنية، كما توضح لنا لماذا تكون بعض هذه الأشكال خطيرة بالفعل، في حين أن بعضها الآخر يمكن أن يكون قيّمًا وبنَّاءً"[(1)].

مما ذكرنا آنفًا يتضح أن الوطنية أنواع: منها المتعصب ومنها المعتدل، ومنها ما بينهما. وهنا تدخل المسألة الإنسانية كما تدخل الفلسفة الأخلاقية. فمن الناحية الإنسانية لا شك بأن التعصب مرفوض؛ لأنه يتضمن كره الآخرين، مثلما أن التعصب للإقليمية مضاد للوطنية، فكذلك التعصب للوطنية مضاد للإنسانية العالمية. ومن ناحية الفلسفة الأخلاقية يُطرح تساؤل: هل حب الوطن يعني ضمنيًّا عدم حب أوطان الآخرين، ومن ثَم يتضمن شيئًا من العنصرية أو الأنانية؟ الإجابة التقليدية على ذلك هو ما ذكره مونتسكيو، لكن الحدود على الطريقة القديمة تغيرت كثيرًا، فهناك مئات الملايين أصبحت مصالحهم تتكون خارج بلدانهم![(2)].

سوف نتناول كل نوع من أنواع الوطنية على حدة، ونوضح ما له وما عليه من وجهة نظر فيلسوفنا ورأينا الشخصي من موقفه، ولنبدأ أولًا بالوطنية المتطرفة إلى أقصى اليمين (العسكرة، والجنوسية، والشوفينية)، ثم الوطنية المتطرفة إلى أقصى

(1) Review : Nathanson, Stephen (1989): *In Defense of "Moderate Patriotism"*, Ethics. Accessed: 9/7/2019.
https://books.google.com.eg/books?redir_esc=y&hl=ar&id=F6-FAAAAMAAJ&focus=searchwithinvolume&q=+dangerous.

(2) الحبيب، عبد الرحمن (1434هـ): *هل ستنتهي الوطنية الحديثة؟*

اليسار (تشمل: غير الوطنيين أو الخونة، ودعاة معاداة الوطنية)، ثم الموقف الأخير كما يراه ناثانسون، الذي يتمثل في (الوطنية المعتدلة).

أ- الوطنية المتطرفة إلى أقصى اليمين (الشوفينية):

1- الشوفينية Chauvinism لغةً:

في اللغة العربية: إفراط في الوطنية ينتهي إلى معاداة الدول والثقافات الأخرى. وتستعمل الكلمة بمعنى سلبي. فقد يدعو رجل سياسي إلى سياسة خارجية شوفينية، لكنه لن يعترف بأن سياسته شوفينية بل يترك ذلك الحكم لأعدائه[1].

شوفينية أو تزمُّت وطني: وطنية مفرطة وعدوانية لا تستند إلى منطق معين. وتعني الكلمة أيضًا موقفًا محتقرًا تجاه جنس، أو أُمة، أو ذكر أو أنثى كما هو حال شوفينية الرجال تجاه النساء[2].

الشوفينية باللغة الإنجليزية Chauvinism، وهي المغالاة بالمشاعر الوطنية إلى حد العماء، وتصل إلى مرحلة العداء للآخر المختلف وطنيًّا وقوميًّا. وتُنسَب الكلمة إلى جندي فرنسي (نيكولا شوفان)، الذي تنقل مصادر حكايات تاريخية عدة كونه "قاتل بضراوة تحت راية نابليون بونابرت"، على الرغم من إصابته أكثر من مرة، وراح يرفض كل رأي ناقد لسيده، فصار نموذجًا لـ"الجندي المتحمس والمتزمت

(1) تعريف الشوفينية ومعناها في قاموس المعجم الوسيط، واللغة العربية المعاصر، والرائد، ولسان العرب، والقاموس المحيط. وقاموس عربي عربي. تم الدخول: 2019/7/6. https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar

(2) المرجع نفسه.

بعنجهية برأيه"، وصار كل مَن سار على طريقته "شوفينيًّا"، وضمن إطار من التحيز المفرط واللاعقلاني للجماعة التي ينتمي إليها الفرد، تجاه الجماعات المنافسة[1].

هناك "الشوفينية الدينية" حين يعتقد معتنقو دين أو طائفة منه كونهم أعظم من معتنقي دين آخر أو طائفة أخرى، و"الشوفينية الجنسية" حين يعتقد الذكور بالتفوق على الإناث، أو العكس حين تعتقد الإناث أنها أعلى من الذكور[2].

وبهذا، فالشوفينية "إفراط في الوطنية والمعتقد الديني والثقافي، ينتهي إلى معاداة الدول والثقافات الأخرى. وتُستعمَل الكلمة بمعنى سلبي". وتؤدي الشوفينية إلى زرع بذور الفرقة والخصام بين الشعوب لتأجج مشاعر التعصب، وصولًا إلى اندلاع الحروب بين الدول، والحروب الأهلية بين أبناء الدولة الواحدة إذا كانوا ينتمون إلى جماعات عرقية مختلفة[3].

2- الشوفينية اصطلاحًا :

الشوفينية: هي المغالاة في التعصب؛ ففي حال التعصب القومي وحب الوطن يَعتبِر الشوفيني وطنَه أفضلَ الأوطان، وأُمته فوق كل الأمم وخصوصًا عندما تكون هذه المغالاة مصحوبة بكُرهٍ للأمم أخرى[4].

---

(1) *ما الشوفينية: الكلمة الأكثر رواجًا في صراع أربيل مع بغداد؟* مقال على موقع: ارفع صوتك، بتاريخ: 29 سبتمبر 2017. تم الدخول: 2019/7/6.
https://www.irfaasawtak.com/a/394599.html

(2) ما الشوفينية: *الكلمة الأكثر رواجًا في صراع أربيل مع بغداد؟*

(3) المرجع نفسه.

(4) العلوي، ياسر (2014): *معجم المصطلحات السياسية*، سلسلة كتب 2014، معهد البحرين للتنمية السياسية، ص 43. للاستزادة عن الشوفينية انظر:

إمام، عبد الفتاح إمام (2013): *الفلسفة وقضايا العصر*، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، العدد 124، ص 14.

3- علاقة الوطنية بالشوفينية:

الشوفينيَّة والوطنيَّة: إذا أردنا أن نُعرِّف الوطنيّة في أبسط تعريف لها لكي تتّضح تلك العلاقة بينها وبين الشوفينية، فهي تعني التَّعَلُّقَ العاطفي بأُمة يعترف بها الفرد وطنًا له. والوطنيُّ هو من يحبُّ بلاده، ويدعم سلطتها ويصون مصالحها. ويمكن النظر إلى هذا الارتباط بين الشوفينية والوطنية من خلال العلامات المميزة للأمة، التي قد تتضمن جوانب أثنية، وثقافية، وسياسية تاريخية. وتنبع المشاعر الوطنية من حس الارتباط والانتماء والتضامن والالتزام، كما أنها تتضمن مجموعة من مفاهيم ومدارك ترتبط بحب الوطن[1].

وكذلك تمثِّل الوطنية مفهومًا أخلاقيًّا، وأحد أوجه الإيثار لدفعها المواطنين إلى التضحية براحتهم، وربما بحياتهم من أجل بلادهم. ولقد وصفها هيجل Hegel (1770–1831) بـ"المشاعر السياسية"، واعتبر تضحية المرء بفرديته لمصلحة الدولة أعظم اختبار للوطنية، غير أنه اشترط وجود الحوكمة.

أما بالنسبة لجان جاك روسو Rousseau (1712–1778)، فلم تنفصل الوطنية عن الحرية، وجادل باستحالتها في مجتمع مستعبد، كما عَبَّرَ عن ارتيابه ممن يُظهرون انتماءهم للإنسانية دون التزامٍ لأقوامهم. ويجب أن نشير إلى حقيقة مهمة، وهي أن الوطنية قد اقترنت بالحركات القوميّة اليمينيَّة أكثر من اليسار. فالوطنية هي شعور بالانتماء والتفاني، وتقدِّمُ للمواطنين غرضًا حياتيًّا يرتكز عليه

---

(1) عبد الرازق، عماد الدين إبراهيم (د. ت): *الشوفينيّة بحث في المصطلح وتاريخه ومذاهبه الفكرية*، سلسلة مصطلحات معاصرة 12، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية العتبة العباسية المقدسة، ص 22.

See: Primoratz, Igor,(2019) "Patriotism", *The Stanford Encyclopedia of Philosophy* (Spring 2019 Edition), Edward N. Zalta (ed.), URL = https://plato.stanford.edu/archives/spr2019/entries/patriotism.

النظام. وبرغم عالمية اعتبار الوطنية فضيلة ضرورية، فقد تعددت مظاهر معاداة الوطنيّة والحجج التي قد تتَّخذ أشكالًا متطرِّفة مثل الشوفينيَّة[1].

إذا كانت الوطنية قد ارتبطت بالاتجاهات اليمينية في أغلب الأحوال، فهذا لا ينفي الوطنية عن اليسار أو يقترحُ امتلاك اليمينِ لحقوقها الحصرية، ولكن لميلِ اليَمينِ إلى تقديم الولاء على العدل.

وبناءً على هذا يتضح لنا أن الوطنية مرتبطة بالشوفينيَّة في الانطلاق من حب الوطن، والدفاع عنه، والولاء له، وحماية مصالحه. لكن يمكن أن تتحول الوطنية إلى شوفينيَّة بغيضة لو تجاوزت حدود الاعتدال والتوسط، لأنه يجب ألَّا تكون الوطنية متجاوِزة للإفراط في حب الوطن على حساب الأوطان الأخرى[2].

لكن ما موقف ناثانسون من الشوفينية؟

4- موقف ناثانسون من الشوفينية:

يوضح ناثانسون موقفه من الشوفينية قائلًا: "وفي رأيي فإنه على الرغم من كل هذه الصفات المعروفة لأحد أنواع الوطنية المألوفة، فإن هذه الصفات لا تعد سمات جوهرية للوطنية نفسها، ودليلي في هذا هو دليل لغوي في المقام الأول. فمخزوننا من الكلمات لوصف أشكال النفع الوطني تتضمن ليس كلمة "وطنية" فقط، ولكن أيضًا كلمات مثل: "الشوفينية"، و"الجينغوية jingoism[3]"، و"الإكزينوفوبيا أو كره

---

(1) عبد الرازق، عماد الدين إبراهيم (د. ت)، ص 23.

See: Druckman, Daniel (1994): *Nationalism, Patriotism, and Group Loyalty: A Social Psychological Perspective,* Mershon International Studies Review, Vol. 38, No. 1 (Apr., 1994), pp. 43-68.

(2) عبد الرازق، عماد الدين إبراهيم (د. ت): *مرجع سابق*، ص 23.

(3) الجينغوية: هي وطنية في شكل سياسة خارجية عدوانية.

الأجانب Xenophobia[1]". فالاتجاهات التي يطلق عليها المصطلحات السابقة مرتبطة ارتباطًا واضحًا بـ"الوطنية" بأساليب مهمة"[2].

هذا معناه أن أصحاب الأفكار المعتدلة وأصحاب الأفكار المتطرفة يتشدقون بالوطنية في أقوالهم وأفعالهم، وكأنه يريد أن يقول: كم من الجرائم ارتُكبت باسم الوطنية؟! ولكن هل يُعقل أن يكون الوطني المعتدل وطنيًّا مثل الشوفيني، الذي لديه توجس من الآخر؟! الإجابة قطعًا: لا؛ إذ يستحيل أن تكون الوطنية المعتدلة مثل الوطنية المتطرفة، وذلك لاختلاف الهدف والغاية التي ترنو إليها كل منهما.

وهذا يجعلنا نتساءل: على أي أساس يرفض ناثانسون الشوفينية؟

يجيب ناثانسون: "على الرغم من أن الوطنيين يحبون وطنهم ويفكرون فيه جيدًا، فإن الشوفينيين لديهم حب مفرط لوطنهم ومفهوم مبالغ فيه عما يستحقه وطنهم. بينما من المحتم على الوطنيين أن يسعوا إلى ازدهار بلادهم والدفاع عنها، فإن أتباع الشوفينية المغالين في حب أوطانهم يميلون إلى الصراعات والحروب مع غيرهم. على الرغم من أن الوطنيين يشعرون بروابط خاصة مع أتباعهم من

See: Soanes, Catherine (ed.) (2006): *Compact Oxford English Dictionary for University and College Students* , Oxford: Oxford University, Press, P. 546.

(1) الإكزينوفوبيا: هي رهاب الأجانب أو كره الأجانب، والرهاب يقصد به (فوبيا، أي خوف، أو كراهية، أو احتقار، أو حذر) من الأجانب أو الغرباء عن البلد. والمصاب برهاب الأجانب يميل إلى خوف وعدم ثقة تصل إلى كراهية الأجنبي. عكسها: Xenophilia الإكزينوفيليا، وتعني محبة الأجانب، أو الانجذاب للأشياء/ الناس غير المعروفة أو الخارجية عن مجتمع وبيئة أو فردية الشخص.

See: Depalma, Anthony (1995): *The World; Racism? Mexico's in Denial.*, The New York Times, June 11, https://www.nytimes.com/1995/06/11/weekinreview/the-world-racism-mexico-s-in-denial.html.

(2) Nathanson, Stephen (1993): *Patriotism, Morality, and Peace*, PP. 29, 30.

المواطنين، فإن أنصار مذهب الخوف من الأجانب لديهم عدائية غير ضرورية لشعوب أو لمواطني البلاد الأخرى"[1].

يرفضها على أساس أنها لا تولى اهتمامًا للأخلاق العالمية، ولأنها تعادي الأوطان الأخرى دون مسوِّغ حقيقي. ولكن ما الحل؟

يرى ناثانسون أن الحل يتمثل في: الاستعاضة عن عاطفة الشوفيني وحبه لوطنه، وقناعته السخيفة [أي المنافية للعقل] بأن وطنه وحده يسمو على جميع الأوطان، عند عرضنا للوطنية المعتدلة كما سنوضح فيما يأتي[2].

في هذا الصدد يتفق ناثانسون مع هابرماس[3] بشأن اقتراح الأخير شروط مواطنة [وطنية] عالمية في عصر العولمة تتعدى حدود الأوطان، والنظرة الشوفينية الضيقة للجنس، واللون، والثقافة. وهذا ما يجعل من الفهم مقامًا كونيًّا يرسِّخ المواطنة الإنسانية التي يجب أن تقوم على حقوق عالمية للفرد تتخطى فيه حقوق السيادة الوطنية لتشمل الكوكب بأسره[4].

---

(1) Ibid. P.30.

(2) Nathanson, Stephen (1993): *Patriotism, Morality, and Peace*,. P.31.

(3) يورغن هابرماس بالألمانية Jürgen Habermas: (1929 –.....) فيلسوف، وعالم اجتماع، وسياسي ألماني معاصر، وُلد في دوسلدورف –ويستفاليا حاليًا– بألمانيا، وما زال يعيش هناك. وهو من أهم منظري مدرسة فرانكفورت النقدية، له ما يزيد عن خمسين مؤلف، تتناول مواضيع عديدة في الفلسفة، وعلم الاجتماع، وهو صاحب نظرية الفعل التواصلي.

(4) عبد اللاوي، الناصر (2013): *التواصل والحوار أخلاقيات النقاش في الفكر الفلسفي المعاصر*، الطبعة الأولى، بيروت– لبنان، دار الفارابي، ص 75.

ب- الوطنية المتطرفة إلى أقصى اليسار :

على العكس من الوطنية المتطرفة إلى أقصى اليمين كما أوضحنا آنفًا، يعرض ناثانسون للنوع الثاني من الوطنية المتطرفة، الذي يمكن التعبير عنه في الوطنية المتطرفة إلى أقصى اليسار، التي تشمل:

1- الوطنيون غير الملتزمين بسياسات بلادهم أو أوطانهم أو الخونة :

ما المقصود بهذه الفئة؟

هم أولئك الذين يرفضون المغالاة رفضًا مطلقًا حول فكرة المواطنة والوطنية والولاء والانتماء... إلخ، وهم من يصفهم بعض الأشخاص بـ"غير الوطنيين" أو "الخونة".

إذا كان أنصار الوطنية الآنفة متطرفين مُفْرِطين ومغالين في تقديس الوطن على حساب أي شيء آخر، فإن أنصار هذه الفئة مُفرِّطون ومضيِّعون للوطنية على حساب أشياء أخرى: كالحرية، والعدل... إلخ.

هؤلاء هم أنصار الوطنية المتطرفة Extreme patriotism التي تعني: الاهتمام الحصري لبلد واحد ومواطنيه، وتؤمن بأنه لا قيودَ أخلاقية على السعي من أجل تحقيق الأهداف الوطنية[1].

ولنأخذ مثلًا لهذا الفريق بداية وصف صمويل جونسون Samuel Johnson[2] للوطنية بقوله: "الوطنية هي الملاذ الأخير للأوغاد[1]".

(1) Nathanson, Stephen(2016): Immigration, Citizenship, and the Clash Between Partiality and Impartiality, p. 145.

(2) صموئيل جونسون (18 سبتمبر 1709 – 13 ديسمبر 1784)، يشار إليه غالبًا بالدكتور جونسون، وكان كاتبًا إنجليزيًّا قدَّم مساهمات دائمة في الأدب الإنجليزي، وشاعرًا، وكاتبًا

وقد ذهبت إيما جولدمان Emma Goldman[2] أيضًا إلى أن الوطنية تفترض أن عالمنا مقسَّم إلى مناطق صغيرة، كل واحدة تحيط بها بوابة حديدية. أولئك المولودون في هذه البقعة الصغيرة يرون أنفسهم متفوقين ونبلاء وأكثر احترامًا وذكاءً من الكائنات الحية التي تعيش في أي مكان آخر. لذلك من الواجب على كل مَن يعيشون على ظهر تلك البقعة المختارة أن يحاربوا ويقاتلوا ويموتوا في محاولة لفرض التفوق على الآخرين. والسكان خارج هذه البقعة الصغيرة يفكرون بالطريقة نفسها بالطبع"[3].

بينما يرى المُنظِّر السياسي الأمريكي الحالي جورج كاتب George Kateb أن الوطنية هي "استعداد للموت والقتل من أجل فكرة مجردة... لما يبدو إلى حد كبير نسج من الخيال[4].

مسرحيًّا، وكاتب مقالات وأخلاقيات، وناقدًا أدبيًّا، وكاتبَ سيرة ذاتية، ومحررًا ومؤلف معاجم. وكان يدين بالإنجليكانية.

See: Rogers, Pat (2006), "Johnson, Samuel (1709–1784)", *Oxford Dictionary of National Biography*, (online ed.), Oxford University Press, Accessed: 11/7/2019. retrieved 25 August 2008. https://www.oxforddnb.com/

(1) Subjudiced (2014): *Patriotism – is it stupid and immoral?*, sted: August 14, 2014, Filed under: Patriotism, Philosophy, Accessed: 11/7/2019. https://subjudiced.wordpress.com/category/patriotism.

(2) إيما جولدمان (27 يونيو 1869– 14 مايو 1940) ناشطة سياسية ومؤلفة لاسلطوية (أناركية Anarchist)، وُلدت في كوفنو، بالإمبراطورية الروسية (حاليًّا كاوناس، ليتوانيا) لأسرة يهودية، ثم هاجرت إلى الولايات المتحدة عام 1885.

See: Diggs, Nancy Brown (1998): *Steel Butterflies: Japanese Women and the American Experience.* Albany: State Univ. of New York Press. p. 99.

(3) Subjudiced (2014): *Patriotism – is it stupid and immoral.*

(4) Ibid.

من المحتمل أن تكون أحد أكثر الأفكار التي صنعها الإنسان نجاحًا وقوةً، إنها ناجحة جدًّا، حتى إنك إذا حاولت تغيير الفكرة عوملت على أنك خائن[1].

نُنصح أن نحب بلدنا كحبنا للأب والأم. ويبدو أن هذا الاستخدام يشير إلى أننا يجب أن نحب بلادنا لأننا نحب والدينا. على الرغم من أن الأطفال لا يُطلب منهم عادة الموت من أجل والديهم، ومعظم الآباء لا يقبلون العرض إذا قُدِّمَ، فإن البعض يتخيل أن البلد بوصفه شيئًا أعظم من الوالدين قد يطلب من أطفاله أن يموتوا من أجله. قيل لنا: عليكم ألَّا تسألوا ماذا قدمت لنا بلدنا؛ ولكن ماذا قدمنا نحن لبلدنا. هذا ينشأ من الامتنان. بمعنى أنه لم نكن لولا هذا البلد. ولن نكون ما نحن عليه لو لم يكن ذلك للبلد[2].

وينسف جورج كاتب هذا الرأيَ بقوله: "أنا لا أدين حرفيًّا لبلدي بأنه جاء بي إلى حيز الوجود. صحيح أنه لا يمكنني الاستمرار إذا لم أعش في مجتمع ما، لكن جيناتي غير قابلة للتعريف سياسيًّا؛ فالبلد ليس كيانًا بيولوجيًّا. كان بإمكان والديَّ الانتقال بعد الولادة. وكان بوسع بلدي أن يفقد الأرض التي وُلدت فيها؛ كان يمكن أن اختُطف وأنشأ في مكان آخر. والدايَ شيء، وبلدي شيء آخر مختلف تمامًا"[3].

ويؤكد: "ليست هناك دولة دون شعبها؛ والعكس غير صحيح حرفيًّا، ويبدو صحيحًا فقط من خلال التشويه المجازي"، فالوطنية فكرة، والفكرة قابلة للتحدي، وقابلة للتغيير"[4].

يعرض ناثانسون لموقف تولستوي من الوطنية من خلال حُجَّتين:

<u>الحجة الأولى</u>: تتمثل في تساؤل: هل الوطنية فضيلة؟

(1) Ibid.
(2) Subjudiced (2014): *Patriotism – is it stupid and immoral.*
(3) Ibid.
(4) Ibid.

هل من الفضيلة أن تشعر بالولاء تجاه بلد المرء، وأن تكون على استعداد لتعزيز رفاهها، حتى لو كان ذلك ممكنًا فقط على حساب تقليص رفاهية الدول الأخرى؟ في مقالتين بعنوان: "الوطنية"، و"الوطنية أم السلام؟" أجاب تولستوي عن هذا السؤال بشدة. وأحد الأسباب الرئيسية لرفض لتولستوي الوطنية هو أنها مرتبطة بالحرب. كذلك كتب: "إن جذر الحرب [هو] الرغبة الخالصة من أجل رفاهية شعب واحد؛ إنها الوطنية. لذلك، وللقضاء على الحرب، علينا بالقضاء على الوطنية"[1].

الآن، قد يعتقد المرء أن تولستوي يبالغ في تقدير وجهة نظره هنا، مدعيًا أن الوطنية تؤدي حتمًا إلى الحرب. مع الإقرار بوجود علاقة بين الحماسة الوطنية والحرب، قد يظن المرء أن هذا لا يدل على أن العلاقة لا مفر منها. لكن إذا منح المرء تعريفه للوطنية على أنه اهتمام خالص برفاهية أُمة المرء، فأعتقدُ أن تولستوي مذنب بأقل من اللازم، فإذا كان الشخص يهتم فقط بأمة الفرد، وإذا بدا الأمر معقولًا، يمكن للأمة أن تستفيد من أشياء ذات قيمة تمتلكها دول أخرى.

ثم إذا أمكن، يجب على الأمة المشاركة في أي أنشطة ضرورية للحصول على السلع المطلوبة. ولأننا نستطيع أن نفترض أن الدول الأخرى لن تتخلى طواعية عن ممتلكاتها القيمة، فإن الحرب تصبح خيار السياسة الحتمي لأولئك الذين يمكنهم توقع النصر[2].

أفترض –كما فعل تولستوي– أن الحرب حالة غير مرغوب فيها، تشمل –مثلما هو حادثٌ بالفعل– قتل الجنود أو إصابتهم على نطاق واسع، بل والمدنيين في كثيرٍ من الأحيان. ولئن كانت الحرب شرًا، ولئن كانت الوطنية هي السبب الجذري للحرب، فالوطنية إذن لا تعدو أن تكون شرًا. وعلى حد التساؤل البليغ لتولستوي: كيف

(1) Nathanson, Stephen (1989): *In Defense of "Moderate Patriotism"*, Ethics, p. 536.
(2) Ibid. pp. 536, 537.

يمكن للوطنية –من حيث كونها باعثًا لمعاناة إنسانية لا حدود لها على المستويين البدني والمعنوي– أن تكون ضرورية، وأن تكون فضيلة[1].

أما الحُجة الأخرى: فيمكن التعبير عنها من خلال تساؤل: هل الوطنية غباء وغير أخلاقية؟

يجيب تولستوي Tolstoy (1828–1910)، على حد قول ناثانسون، بأن الوطنية تتصف بالغباء والتجرد أخلاقي "stupid and immoral"؛ فالوطنية غباء؛ لأن كل وطني يأمل لبلده أن تكون الأفضل من كل الأوطان، في حين، كما هو واضح، أن دولة واحدة فقط يمكنها التأهل لهذا. ومن ناحية أخرى فهي غير أخلاقية؛ لأنها تفرض علينا تعزيز مصالح وطننا على حساب جميع الأوطان الأخرى وبأي وسيلة، ومنها الحرب، ومن ثَم فهي تتعارض مع أبسط قاعدة أخلاقية، مفادها: علينا ألَّا نفعل للآخرين ما لا نريد أن يفعلوه بنا[2].

ويقول تولستوي أيضًا:"في عصرنا الحالي، فإن الشعور بالوطنية هو شعور غير طبيعي، وغير عقلاني، وضار، وهو سبب لجزء كبير من العلل التي تعاني منها البشرية؛ ومن ثم، لا ينبغي تنمية هذا الشعور، كما هو الحال الآن، ولكن على العكس من ذلك، يجب قمعه والقضاء عليه بكل الوسائل المتاحة من خلال الأشخاص العقلانيين"[3].

ويصف ليو تولستوي الوطنية المتطرفة –حسب ناثانسون– بأنها "الرغبة الحصرية لرفاهية شعبه"[4].

(1) Ibid. p. 537.
(2) Nathanson, Stephen (1989): *In Defense of "Moderate Patriotism"*, P.537.
(3) Spartan of Truth The Quest for Liberty, Archive for Professor Stephen Nathanson, Accessed: 12/7/2019.
https://spartanoftruth.wordpress.com/tag/professor-stephen-nathanson/
(4) Nathanson, Stephen (1989): *In Defense of "Moderate Patriotism"*, P.536.

وبعد أن عرض ناثانسون لقول تولستوي علَّق عليه قائلًا: "إن وجهة نظر تولستوي حول غباء الوطنية في الصميم؛ لأن أولئك الوطنيين يعلنون عن أنفسهم، في كثير من الأحيان، من خلال حديثهم عن تفوق دولتهم على جميع الدول الأخرى. ويستخدمون شعارات وأساطير من قبيل "أنها الدولة الأولى عالميًّا"، أو "أنها مختارة إلهيًّا"، أو "أن شعبها الشعب الأعلى أو المتفوق"، وتعد هذه الشعارات القاسم المشترك بين دعاة الوطنية جميعًا"[1].

ثم يعقب ناثانسون على ذلك قائلًا: "تولستوي محق في انتقاد هذا النوع من الولاء الوطني الذي يضع الأمة قبل أي شيء آخر. لكن الوطنية مثلها مثل أشكال الولاء الأخرى، فقد يقودني ولائي لعائلتي إلى الكفاح من أجل رفاهيته بعدة طرق جديرة بالثناء، ومن ثَم يمكن اعتباره فضيلة. ومع ذلك، قد لا أفعل أي شيء نيابة عن رفاهية عائلتي؛ إذ لا يجوز لي شرعًا قتل منافسي طفلي ليحصل على جائزة المدرسة، أو أن أُهدِّد أحد الجيران الذي نود امتلاك منزله. عندما ينخرط المرء في أفعال غير أخلاقية لتعزيز رفاهية الأسرة، يكون تفاني الأسرة متطرفًا وليس فضيلة"[2].

بهذا يتفق ناثانسون مع تولستوي حول نبذ مفهوم الوطني المتطرف بوصفه الشخص الذي لديه اهتمام خاص أو استحواذي تجاه وطنه. بالإضافة إلى إنكاره [أي ناثانسون] تبني الوطني المتطرف لفكرة الازدراء للأشخاص من الجنسيات الأخرى، باعتباره أمرًا غير أخلاقي وغبي، وأنه السبب الأساسي للحرب[3].

(1) Nathanson, Stephen (1989): *In Defense of "Moderate Patriotism"*, p. 537.
(2) Ibid. P.538.
(3) Edgar, Campbell (2019): *Is patriotism like racism?*, P. 4. Accessed: 8/7/2019.https://www.academia.edu/9785974/Is_Patriotism_like_Racism?auto=download.

هذا الاتفاق بينهما لا يظل باستمرار؛ إذ يختلفان في نواحي معينة حيث يذهب ناثانسون إلى أن تولستوي مخطئ، في إدانته الكاملة للوطنية. الإجابة الصحيحة عن سؤال: هل الوطنية فضيلة؟ هي أن القيمة الأخلاقية للوطنية تعتمد على الظروف التي تُعرض فيها الوطنية والإجراءات التي تحفزها. فعندما تكون الوطنية في خدمة أغراض قيّمة وتقتصر على الوسائل المشروعة أخلاقيًّا لتحقيقها تكون فضيلة. عندما تؤدي الوطنية إلى دعم أغراض غير أخلاقية أو وسائل غير أخلاقية لتحقيق أهداف مشروعة، فهي إذًا رذيلة [1].

في هذا الإطار نتوصل إلى أن ناثانسون نفعي ينظر إلى نتائج الأشياء، ويركز على الجانب الأخلاقي ومراعاته بالنسبة للنفعية العامة، وليست الخاصة بوطن المرء أو بلده.

كذلك يعرض ناثانسون لنموذج آخر لرافضي الوطنية على أساس أخلاقي، وهو ألسدير ماكنتايرMacIntyre (1929–...) فيقول الأول: "يؤكد ماكنتاير أن الوطنية تنطوي على الولاء لبلد المرء على حساب ما سواه من البلدان الأخرى وتفضيل رفاهيته على غيره. المشكلة ليست في أن من الفضيلة وجود مشاعر دافئة تجاه بعض جوانب بلد المرء، بل في تعزيز رفاهيته على حساب غيره[2].

وبالرجوع إلى كتابات ماكنتاير نفسه نجده يقول: "الوطنية ليست مجرد اسم لفضيلة، ولكن يجب أن تكون رذيلة؛ إذ إن الوطنية بوصفها مفهومًا لا تتفق والأخلاق[3].

(1) Nathanson, Stephen (1989): *In Defense of "Moderate Patriotism"*, p. 539.
(2) Ibid.
(3) Macintyre, Alasdair (1984*): Is Patriotism A Virtue?*, by: Department of Philosophy, University of Kansas, U.S.A, p. 5.

لقد رفض ألسدير ماكنتاير مقارنة الوطنية بالأخلاقيات، كذلك استبعد اعتبارها حجر الأساس الذي تقوم عليه الأخلاق[1]. بمعنى: أنه رفض الإدعاء بالإنسان لا يمكن أن يكون أخلاقيًّا ما لم يكن وطنيًّا، إذ لا علاقة للربط بينهما.

لذلك عندما نتحدث عن الولاء الوطني، لا بد من التطرق إلى مفهوم الوطنية، التي هي أولًا وأخيرًا مفهومٌ أخلاقي، وأحد أوجه الإيثار، لدفعها المواطنين إلى التضحية بحيواتهم، من أجل بلادهم. لقد رفض ألسدير ماكنتاير مقارنتها بالأخلاقيات، لكونها القاعدة التي تستند إليها الأخلاقيات[2].

ليس هذا فحسب، بل سخر ماكنتاير أيضًا من أي شخص يبرر الحرب والموقف الرسمي للدولة[3].

إذا كان ماكنتاير قد أوضح ذات مرة بأن الوطنية تعد مصدرًا مستمرًّا للمخاطر، فإن جورج كاتب قد مضى خطوة أبعد، وزعم بأن احتقار الأخلاق طبعٌ متأصِّل في الوطنية[4].

بعض هذه الحجج يمكن مواجهتها بسهولة، فقد لا تصمد أمام اختبار الوقت؛ إذ يمكن للمرء أن يتحلى بالولاء الوطني لبلده، ولا يزال يحترم جميع البلدان الأخرى.

---

(1) Macintyre, Alasdair (1984*): Is Patriotism A Virtue?*, by: Department of Philosophy, University of Kansas, U.S.A, p. 5.

(2) رشيد، فايز(2017): *المفترض أن الولاء الوطني قبل السياسي؟*، مجلة القدس العربي، تم الدخول: 2019/7/5. https://www.alquds.co.uk/%EF%BB%BF

(3) ناريك ماليان (2018): *نقطة الصفر (رواية)*، ترجمة: طوركيان لابراديل، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ص 80.

(4) مولر، يان فيرنر(2017): *الوطنية الدستورية: ما بعد القومية أم ما بعد الانتماء؟*، ترجمة، رشيد بوطيب، العربي الجديد، 16 يونيو، تم الدخول: 2019/7/17. https://www.alaraby.co.uk/culture/2017/6/16/

كذلك يمكنه أن يكون وطنيًا مدافعًا عن بلده، ولا يزال غير مشارك في الحروب. وقد تحرك الوطنية في البشر الخير أكثر من الشر[1].

وبالرجوع إلى ظروف عصر مناهضي الوطنية نجد أن ثمة أشخاصًا قد استغلوا الوطن باسم الوطنية، واستنزفوا خيراته من أجل مصالحهم الخاصة، وهؤلاء هم المخادعون، والأفاقون، والكذابون، والمنافقون، والمتلاعبون، والمزورون، والمهربون، والمخربون... إلخ، نتج عن أفعالهم هذه وجود ضحايا لا حصر لها، ضحايا يحيط بهم الثالوث المدمر: الفقر، والجهل، والمرض. من كل صوب وحدب، فما كان منهم إلا أن لعنوا الوطن وكل من فيه والوطنية وكل من يدعو لها، فسخطوا على حكامهم وناهبي مقدرات أوطانهم!

نستنتج مما سبق أن هذه الفئة تقف بالمرصاد للوطنية المتطرفة، لا للوطنية في عمومها، أو للوطنية بالمفهوم المعتدل. وإذا كان أنصار هذا الاتجاه يرفضون الوطنية فإنهم يرفضونها من منطلق استغلال دعاة الوطنية للوطن باسم الوطنية نفسها.

في المقابل نجد أولئك الذين يرفضون الوطنية من خلال إيمانهم بتقديم مصلحة القيم العليا وتفضيلها على مصلحة الوطن إذا ما حدث ثمة تعارض بينهما، ومن ثَم ينعتهم الآخرون بالخونة أو منعدمي الولاء، أو غير الوطنيين، وذلك بسبب تغريدهم خارج السرب. قد يكونون على حق في بعض المواقف، وقد يكونون على خطأ في بعضها الآخر.

تعقيبًا على ما سبق يمكننا القول: ليس هناك شخص من الممكن أن يصف نفسه بأنه غير وطني أو خائن لوطنه، وإنما الآخرون هم الذين يصفونه بهذه

(1) Subjudiced (2014): *Patriotism – is it stupid and immoral.*

الصفات نتيجة لما يلاحظونه من أقوال وأفعال تعبر عن هذا الوصف أو ذاك لهذا الشخص أو غيره.

هم غير وطنيين، أو خونة من وجهة نظر الآخرين. أما من وجهة نظرهم فهم يرون أنفسهم أنهم وحدهم الذين يعبرون عن الوطنية الحقيقية، من خلال تصديهم لأولئك الفسدة الذين يعبثون بمقدرات الوطن، ويأبون إلا أن يخلعوا عباءة الذل والخنوع من رقبتهم حفاظًا على الوطن. إنهم يريدون وطنًا مستغِلًّا لمواطنيه، غير مسُتغلٍّ من حاميه أو سارقيه.

حقًّا، هناك مَن يرفضون "الوطنية"، لكنهم لا يرفضون "الوطن"، يعادون "الوطنية ودعاتها"، ولا يعادون الوطن ومواطنيه، يكرهون الوطنية وصفاتها، ولكن لا يكرهون الوطن وما يحمله من قِيَم!

لذا فإن المقصود بهذه الفئة هم أولئك المواطنون غير الملتزمين بسياسات أوطانهم، ولكن ليس مطلقًا كما قد يظن القارئ؛ أي أن عداء سياسة الدولة أو الوطن لا يعني العداء للوطن ذاته، أو عدم الخوف على ضياعه، أو الانسلاخ عن التضحية من أجله!

لأنه يستحيل أن تجد من يقول: أنا لست وطنيًّا، أو أنا ضد الولاء للوطن والتضحية من أجله، إلا إذا كان في عقله خلل، سواء أقصد بذلك الوطن بمفهومه الضيق (الدولة)، أم الوطن بمفهومه الواسع (العالَم)! ولكن من الممكن أن يقول: أنا ضد الوطنية؟

ولكن هنا لا بد من طرح سؤال مهم وهو: أي وطنية يقصد صاحب هذا الرأي؟ فليس هناك مفهوم واحد جامع مانع للوطنية، كذلك لا تقتصر على نوع واحد بل أنواع متعددة؟

فهو هنا حين قال: أنا ضد الوطنية. كان في ذهنه مفهوم معين عن الوطنية التي ينصب لها العداء، وقد نتفق معه حين يقول لنا ماذا يقصد بكراهيته للوطنية أو عدائه لها؛ لأنه قد يقصد وطنية متطرفة محددة في زمان ومكان محددين.

إن كل هذا يحتم علينا ضرورة الرجوع إلى عصر هذا الفيلسوف صاحب هذا الرأي أو ذاك لمعرفة الأطر المحددة للمصطلح وبأي معنى يكون!

2- دعاة معاداة الوطنية، وتشمل (معاداة الوطنية الداخلية أو أنصار الوطنية العالمية أو القوميون أو الكوزموبوليتية):

ما المقصود بدعاة معاداة الوطنية؟

معاداة الوطنية هي أيديولوجية معارضة للوطنية، عادة ما تشير إلى أولئك الذين يتبنون آراء كوزموبوليتية Cosmopolitan views وهي معادية للقومية Anti-nationalist بالمحصلة. الفكرة الأساسية أن المرء يولد في بلدٍ ما اعتباطيًّا، سواء أحبوه أم كرهوه، والوطنية تشجع الناس على حب بلادهم أو التضحية لأجلها بغضِّ النظر عن فرديتهم. فالمعارضون للوطنية قد يبنون موقفهم على ما يعتبرونه خصائص استبدادية في طبيعتها Authoritarianism، أو لاعتقادهم أنها تؤدي إلى الحرب بسبب النزاعات الجيوسياسية[1] Geopolitical disputes[1].

---

(1) مصطلح الجيوبولتيكا أو الجيوسياسية Geopolitics مكوَّن من شقين: Geo وتعني الجغرافيا، وPolitic وتعنى السياسة، وهو ما يوحى لنا بوجود علاقة بين الأرض أو الجغرافيا مع السياسة، ومنه فالجيوسياسية أو الجيوبوليتيك وهي علم دراسة تأثير الأرض على السياسة، في مقابل مسعى السياسة للاستفادة من هذه المميزات وفق منظور مستقبلي أي (علاقة تأثُّر و تأثِير)، وهناك من يصفُها "بعلم سياسة الأرض"؛ بمعنى العلم الذي يُعنى بدراسة تأثير السلوك السياسي في تغيير الأبعاد الجغرافية للدولة، وهو ما يستحضر في

لذلك يمكن تحليل معاداة الوطنية من وجهة نظر سلامية أو معادية للعسكرة. في الوقت ذاته يستعمل هذا المصطلحَ استعمالًا تحقيريًّا أولئك الذين يدافعون عن الوطنية أو القومية، وقد تستعمل مصطلحات مثل القومية Cosmopolitanism أو المواطنة المعولمة world citizenship تفاديًا للتحيز الناتج عن استخدام النموذجي لكلمات مثل: معاداة الوطنية anti-patriot أو مناهض للوطنية[2].

في بعض الأحيان يُستخدم الأفراد والمجموعات المناهضة للوطنية بوصفها شكلًا من أشكال التدابير الفعالة ضد بلدهم من قبل دولة أخرى أو طرف ثالث، خاصة خلال الحرب الباردة. كذلك شُكِّك في فكرة الثقافات المتعددة المتشابكة باعتبارها مناهضةً للوطنية، ولكن بشكل أساسي في المجتمعات الاجتماعية الصغرى: الكليات، والجامعات... إلخ[3].

يؤمن أنصار هذا الفريق بلا مكانية الحدود الجغرافية، وأن الإنسان لا ينبغي له أن يوالي إلا لوطنه الأم، وهو الكون، ولم يكن تاريخ هذه الدعوات مُحدثًا، وإنما قديم قِدم الإنسان نفسه، فالدعوة إلى المواطنة العالمية ترجع بذورها إلى فجر تاريخ الفكر اليوناني، وما قبله أيضًا.

أذهاننا أن هناك فاعلًا يُمارس علاقة قوة في إطار جغرافي معين. وهو العلم الذي يقُودُنا إلى دراسة كيفية استخدام الجغرافيا بوصفها مصدر قوة للتعبير عن المواقف السياسية.

انظر: *الموسوعة السياسية political encyclopedia* ، تم الدخول: 2019/7/17.
https://political-encyclopedia.org/index.php/about

(1) Review : Nathanson, Stephen (1989): *In Defense of "Moderate Patriotism",* Ethics. Accessed: 9/7/2019.
https://books.google.com.eg/books?redir_esc=y&hl=ar&id=F6-FAAAAMAAJ&focus=searchwithinvolume&q=+dangerous.

(2) Review : Nathanson, Stephen (1989): *In Defense of "Moderate Patriotism",* Ethics.

(3) Ibid.

فعلى سبيل المثال مفهوم "المواطنة العالمية"، الذي نحته ديوجين انطلاقًا من الكلمات الآتية: (Cosmos, l'Univers, Politê, Citoyen، الكون، العالم، الإنسان، المواطن) يعبر عن إمكانية الانتماء إلى وسط أو مكان ما، وفي الوقت نفسه ملامسة الكونية دون إنكار الخصوصية، أي الإخلاص للأرض بكاملها وأحيانا للإنسانية جمعاء. فأن تكون مواطنًا عالميًّا هذا يعني: أن تحيا دون ارتباطات، أو كما قال "ديوجينيس" عن نفسه بلسان أحد كُتاب المآسي: "بلا مدينة، بلا مأوى، بلا وطن"[1].

وفك الارتباط المثير هذا إعلانٌ صريح عن ازدراء قوانين المدينة ومؤسساتها، بل أخلاق مواطنيها، وتقاليدهم، وعاداتهم، وأعرافهم؛ أي مجموع السلوكيات والتصرفات التي تحدُّ من حرية الفرد، وتخضعه لمشيئة الأخلاق والمبادئ، والقواعد المفروضة بقوة الانتماء والهوية. وانسجامًا مع هذا الموقف الكوزموبوليتي، كان ديوجين لا يشاطر أفلاطون أو إيزوقراطس فخرهما بأنهما خُلِقَا يونانيينِ وتحدَّرا من سلالة أولئك الآثينيين الذين ردوا الغازي الفارسي على عقبيه؛ بل يبدو أن أنتشتاين قال: "حقًّا إن انتصار الإغريق على الفرس كان مسألة بخت لا أكثر"[2].

بهذا تُستوعَب الوطنيةُ بوصفها قيمةً إيجابية في معظم دول العالم، مع اختلاف الانطباعات المعيارية عن تجلياتها المختلفة. يجيب معظم الناس أنهم يحبون

---

(1) شرود، إدريس (2017): *معنى أن تصير سينيكيًّا؟* مجلة أنفاس نت من أجل الثقافة والإنسان، بتاريخ: 22 ديسمبر 2017، تم الدخول: 2019/7/13.
https://www.anfasse.org/

See: Jhon Moles (1991) : *Le Cosmopolitsme Cynique in Le Cynisme Ancien et ses Prolongement,* Actes du Collogue International du CNRS, Paris, 22-25 Juillet 1991, p268.

(2) شرود، إدريس (2017): *مرجع سابق.*

بلادهم لمناقبها وإنجازاتها. إن كانت هذه هي الحالة فعلًا، سيعلن الوطني ولاءَه لدولة أخرى تحمل القيم نفسها وتطبقها بطريقة أفضل، لكن ما من وطني حقيقي سيفعل ذلك. وعندما يُواجَه هذا المنطق، يجيب الوطني بأنه يحب بلاده فقط لأنها بلاده، ولا يحتاج لمزيد من الأسباب للولاء، وإظهار اهتمام خاص بصالحها. من منظور فلسفي، قد لا يكون هذا الجواب مقنعًا، وهو غير عقلاني واعتباطي، ولكنه بالتأكيد وطني.

بعض تقاليد الفلسفة الأخلاقية تعتبر الوطنية نرجسيةً جماعية، اعتباطية في أصلها، وتخالف مطالب العدالة العالمية وإنسانية التضامن الإنساني المشترك. كان سقراط الذي شكك في أخلاقية التفرد، قاد عددًا من الفلاسفة الأخلاقيين مثل: جون ستيوارت ميل John Stuart Mill (1806 – 1873) وإيمانويل كانت Immanuel Kant (1724 – 1804) إلى استنتاج عالمية الأخلاق وحيادها، وضرورة التعامل مع جميع البشر على قدم المساواة، وهؤلاء يرفضون الوطنية لصالح شكلٍ من أشكال الكوزموبوليتية[1].

أضف إلى ذلك أن الكوزموبوليتية تربط الواجبات الأخلاقية أوليًّا "بجماعات البشر العالمية"، كما تزعم مارثا نوسباوم[2] Martha Nussbaum [1].

(1) Gutting, Gary (2012): *Is Our Patriotism Moral?*, Opinionator , A Gathering of Opinion From Around the Web, Accessed: 13/7/2019. https://opinionator.blogs.nytimes.com/2012/07/03/is-our-patriotism-mor-al/?mtrref=www.google.com&gwh=1876E9A38FC2E8A77F85171E43471D71&gwt=pay.

(2) مارثا نوسباوم: مواليد 6 مايو 1947 في نيويورك، هي فيلسوفة أميركية، وأستاذة القانون والأخلاق في جامعة شيكاغو. تتمحور أعمالها حول الفلسفة القديمة اليونانية والرومانية، الفلسفة السياسية النسوية، والأخلاقيات، بما في ذلك حقوق الحيوان. عملت بالتدريس في جامعة هارفارد وبروان سابقًا. ترجم كتابها: ليس للربح: لماذا تحتاج الديمقراطية إلى الإنسانيات عام

لا يمكننا أن نتجاهل الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط، ودعوته للسلام العالمي والوطنية العالمية على أساس عقلاني، يرى كانط علينا أن نمنح ولاءنا للدولة، طالما فرضت القوانين التي سيعتبرها أيُّ مخلوق عاقل عادلةً. قد تخضع صفات هذه الدولة وقوانينها لنقاش ممتد، لكن الأصل أنه طالما اتُّفق عليها فإن عقلانيتها تفرض شرعيتها، وبالتالي الالتزام نحوها[2].

ومن دعوته للسلام العالمي يؤكد أن نظريته للسلام تجعل من المواطنة قيمة عالمية/كونية لا يمكن لها أن تتحقق إلا في ظل سلام عالمي دائم، وبالتالي لا تقف عند الاختلافات اللغوية، والفروق الحضارية والسياسية والأيديولوجية، السلام الذي تعقده الدول الحرَّة هو الذي يبني المواطنة العالمية[3].

2015. ويعد أول أعمالها المترجمة إلى العربية، كما أن لها كتاب بعنوان: هشاشة الخير. حصلت نوسباوم على جائزة كيوتو لعام 2016.

انظر: الشملان، فاطمة (2017): *الإنسانيات والنسوية: حوار مع مارثا نوسباوم*، 31 أكتوبر، عن موقع حكمة، تم الدخول: 2019/7/17. https://hekmah.org/

(1) مولر، يان فيرنر (2017): *الوطنية الدستورية: ما بعد القومية أم ما بعد الانتماء؟*.

(2) بادجر، فيلر (2018): لغز *الوطنية: بين الفردانية والانتماء إلى الجماعة*، ترجمة، عصام حمزة، إضاءات، 19 فبراير، تم الدخول: 2019/7/25.

https://www.ida2at.com/nationalism-between-individuality-and-/belonging-to-the-community

(3) خليفة، علي (2015): *هل تكون المواطنة العالمية مشروعًا للسلام الدائم؟*،أعمال المؤتمر الدولي العاشر حول التضامن الإنساني، طرابلس، 18 ديسمبر، تم الدخول: 2019/7/25.

https://www.ida2at.com/nationalism-between-individuality-and-/belonging-to-the-community

ويؤكد مونتسكيو أن الدولة تدوم بمعزل عن حب الوطن، وعن الرغبة في المجد الحقيقي، وعن إنكار الذات، وعن تضحية المرء بأعز مصالحه، وعن جميع هذه الفضائل البطلية التي نجدها في القدماء والتي نسمع حديثًا عنها فقط[1].

كذلك يتبنى مايكل ساندل Michael Justice Sandel فيلسوف الأخلاق والسياسة (1953–...) رأيًا –يعرف أنه سيُغضِب ذوي التوجهات الليبرالية– يشير إلى أنه بالنسبة لمعظم الناس، إحساس الترابط مع الوطن والمجتمع وتاريخهما هو ما يمنحنا إحساسًا بما نحن عليه؛ أي بذواتنا. هذه هي الرؤية الجماعاتية، على النقيض منها، تقضي الرؤية المثالية لليبراليين بأن المرء يقرر مبادئه من موقع انفصال أو تباين[2].

يمكن أن نجمع شواهد تؤكد توجه العالم للتوحد والعكس صحيح. ورغم ذلك فإن العوامل المساعدة لتوحيد العالم أكثر كثيرًا من عوامل الانقسام... والاتحادات الرياضية العالمية، والمنظمات الدينية ذات الامتداد العالمي، حتى وصلنا إلى مرحلة حوار الأديان والحضارات[3].

وإذا كان الأمر على هذه الحالة فهل تتعارض المشاعر الوطنية الحالية مع الشعور الإنساني العالمي المشترك؟ هل تصبح الوطنية مضادة للعالمية وتعرقلها أو ربما تنسفها؟ إذا كنا نقصد الوطنية المتشددة فلا شك بأنها ستتعارض مع التوحد العالمي وستعرقله. لكن هناك أصوات وطنية تدافع عن مصالحها (فرصها الوظيفية) ضد الأنظمة الأممية، كما يحدث في دول أوروبا من تيارات وطنية ضد الاتحاد

(1) مونتسكيو (2013): *روح الشرائع*، ص 80.

(2) المرجع نفسه.

(3) الحبيب، عبد الرحمن (1434 هـ): *هل ستنتهي الوطنية الحديثة؟*

الأوروبي، حتى إن بعض الدول بدأت في اتخاذ إجراءات مضادة للعالمية... كما أن الاندماج العالمي أصبح حتمية اقتصادية قبل أن يكون مسألة تطور حضاري[1].

تعقيبًا على ما ذكرنا، إذا كان هناك مَن يجادل بإمكانية التوفيق بين الوطنية والكوزموبوليتية، وذلك بموازنة الاعتزاز بالفلكلور القومي مع تقدير واحترام عادات وثقافات الآخرين. إلا أن وضع الوطنية مقابل الكوزموبوليتية ليس عادلًا، فكل من المفهومين يحمل مضامين إنسانية أخلاقية، وكلاهما قد ينحرف ويتخذ أنماطًا سلبية وخطيرة كذلك[2].

على هذا يتضح –من وجهة نظر ناثانسون– أن دعاة معاداة الوطنية يرفضونها على أساس إنساني وأخلاقي في المقام الأول، وإن كانت دعواهم صحيحة في إحدى جوانبها، فإنها مستحيلة من جوانب أخرى على المستوى الواقعي، لأن كثيرًا من الناس، لحظة التفضيل بين وطنهم وبين الإنسانية والأخلاق، سوف يُؤثِرون مصلحة وطنهم على ما عاداها، حتى لو كانت مصلحة القيم العليا، وهذا أمر نسبي يختلف من شخص لآخر.

ليس هذا فحسب، بل يمكننا اقتباس –بالنسبة للوطنية المتطرفة بشقيها السابقين– هذا الرأي الذي مفاده: إن ناثانسون يسعى إلى إظهار أن المواطنة العالمية الكوزموبوليتانية cosmopolitanism تأتي بصورة معتدلة ومتطرفة أيضًا. فالمواطنة العالمية قد تكون متطرفة فيما يتعلق بأهدافها أو أساليبها، في كلتا الحالتين، فإنها غير مقبولة أخلاقيًّا، مثلها مثل الوطنية المتطرفة extreme

(1) المرجع نفسه.

(2) Rosenthal, Joel (2009): *Patriotism and Cosmopolitanism*, Carnegie Council for ethics in International Affairs, Jul 18, 2009, Accessed: 13/7/2019.https://www.joelrosenthal.org/patriotism-and-cosmopolitanism/.

patriotism، في حين تحاول الوطنية المعتدلة أن تتلاشى عيوب هاتين الوجهتين من النظر[1].

يوضح ناثانسون كيف يتلاقى هذان الموقفان، رغم اختلافهما في التزاماتهما الفلسفية، حول مجموعة من القضايا الأخلاقية والسياسية، حتى يتمكن أتباعهم من دعم مختلف السياسات والمؤسسات التي تعزز العدالة الدولية والتضامن الإنساني المشترك[2].

إذا كان ناثانسون قد اقتصر على الأنواع السابقة للوطنية، فإن دراسة ستاندفورد حول "الوطنية" تسرد خمسة أنواع من الوطنية: (1) المتطرفة، (2) والقوية، (3) والمعتدلة، (4) والمفرغة، (5) والأخلاقية. على الرغم من أن درجة الارتباط "بمفهوم الوطنية" قد تختلف في هذه الأنواع، فإنها كلها تنشأ عامةً من أي من المكونات الأربعة التي وصفها ناثانسون[3].

إن كل هذا يجعلنا نتساءل: ما المقصود بالوطنية المعتدلة عند ناثانسون؟

رابعًا: الوطنية المعتدلة

بعد أن عرضنا للوطنية المتطرفة بشقيها، وموقف ناثانسون منها بالسلب وبالإيجاب، فحريٌّ بنا أن نتعرف على الوطنية المعتدلة بوصفها مفهومًا خاصًّا باناثانسون وحقيقة طرحه ورؤيته لها، ومدى قابلية تطبيقها على أرض الواقع من عدمه.

(1) Primoratz, Igor and Pavković, Aleksandar (2007): *Patriotism Philosophical and Political Perspectives*, Ashgate Publishing Limited, U.S.A. P.5.
(2) Ibid. P.5.
(3) Subjudiced (2014): *Patriotism – is it stupid and immoral?*, sted: August 14, 2014, Filed under: Patriotism, Philosophy, Accessed: 11/7/2019. https://subjudiced.wordpress.com/category/patriotism.

وما علاقة الوطنية المعتدلة بالأخلاق أو الفضيلة؟ أيُّ أخلاق يقصد ناثانسون (الأخلاق الإنسانية العامة – العالمية– أو الأخلاق الخاصة ببلد المرء أو وطنه)؟ وماذا لو تعارضت مصلحة الوطن مع أخلاق الوطني المعتدل؟ هل سيضحي الوطني المعتدل بمصلحة وطنه على حساب أخلاقه العالمية المعتدلة؟ أو سيضحي بأخلاقه العالمية المعتدلة على حساب مصلحة وطنه؟ وهل الوطنية سبب لنشوب الحروب؟، وليكن أول ما نبدأ به مفهوم الوطنية المعتدلة عند ناثانسون كالآتي:

1- مفهوم الوطنية المعتدلة:

الوطنية المعتدلة Patriotism Moderate مفهوم خاص بناثانسون، لذا يعرفها بأنها: "تلك الوطنية التي تعطي الأولوية الأعلى لبلد واحد؛ وتشعر بقلق حقيقي ولكن أقل بالنسبة للآخرين. وتؤمن بالسعي المقيد أخلاقيًّا لتحقيق الأهداف الوطنية"(1).

تلك الوطنية لا تُنكِر–من وجهة نظر ناثانسون– الولاء لبلد بعينه، ولكن في الوقت نفسه لا تنظر للأوطان الأخرى على أنها عدو لها، ولكن تحتاط لنفسها بشيء من الحيطة والحذر، وتسعى كذلك إلى عدم إطلاق تحقيق أهداف وطن ما، بقدر ما تقيده بالأخلاق العامة التي ينبغي أن يذعن لها كل وطني معتدل.

يؤكد ذلك أن المفاهيم المعتدلة للوطنية مقيدة بمجموعتين من القيود، هما: القيود الإجرائية، والقيود المتعلقة بالأشياء... وكلاهما وضع قيودًا من شأنها أن تعطي مفاهيم الوطنية درجة كافية من الشرعية وتنأى بها عن آثارها السلبية المحتملة(2).

(1) Nathanson, Stephen (2016): ***Immigration, Citizenship, and the Clash Between Partiality and Impartiality*****, p. 145.**

(2) Sardo~, Mitja (2017): ***The anatomy of patriotism*****, by: Slovene Anthropological Society, Anthropological Notebooks 23, Slovenia, Accessed: 18/7/2019. p.46.**

ومن ثَم تُجنِّبنا هذه الوطنية المعتدلة الاعتراضَ المحتمل الذي يصفها بأنها: تمييزية، ومتجانسة، وإقصائية... إلخ. بعض الأمثلة الحديثة الأخرى التي قد توصف أيضًا بأنها معتدلة تشمل: الوطنية العالمية (Appiah 1997)، والوطنية المعتدلة (Nathanson 2010)، والوطنية المدنية (Laborde 2002)، والوطنية الديمقراطية (Callan 2010)، والوطنية لأفضل التقاليد (Blum 2007)[1].

إذا كنا عرفنا مفهوم الوطنية المعتدلة عند ناثانسون، فما الفرق بينها وبين الوطنية المتطرفة إذًا؟

2- الفرق بين الوطنية المعتدلة والوطنية المتطرفة:

يُفَرِّق ناثانسون بين الوطنية المعتدلة والوطنية المتطرفة في مقاله: "الوطنية المعتدلة "moderate patriotism" 2019" إذ يقول: "قدمنا لمصطلح الوطنية المعتدلة لكي نوضح أن ثمة بدائل لنوعَي: الوطنية القومية ووطنية كراهية الأجانب أو معاداتهم، لذا يمكن التفرقة بين الوطنية المعتدلة والوطنية المتطرفة على النحو التالي:

- ففي حين أن الوطنية المتطرفة تنطوي على الاهتمام بالبلد الواحد ولا تهتم بالبلدان الأخرى، فإن الوطنية المعتدلة تجمع بين الاهتمام الخاص بالبلد الواحد وقدر معين من الاهتمام بالأشخاص في البلدان الأخرى.

- فارق آخر بين الوطنية المتطرفة والوطنية المعتدلة يتمثل في أن الوطنية المتطرفة تضع أقصى درجات الأهمية لتعزيز مصالح البلاد ورفاهيتها، مع رفض أي قيود على الوسائل التي يمكن بها تحقيق ذلك. بينما تعمل الوطنية المعتدلة أيضًا

(1) Ibid.

على تعزيز رفاهية البلد، لكنها لا توافق إلا على الوسائل التي تتوافق مع حقوق الأشخاص في البلدان الأخرى"[1].

كذلك يميز ناثانسون بين الوطنية المعتدلة والوطنية العالمية المعتدلة وبينها وبين الوطنية العالمية المتطرفة، فيعرِّف العالمية المعتدلة globalism Moderate بأنها: الاهتمام على قدم المساواة بجميع البشر، ولكن تعترف بالتحيز المشروع لبلد واحد ومواطنيه. وتؤمن بالسعي المقيَّد أخلاقيًّا لتحقيق الأهداف العالمية. بينما العالمية المتطرفة Extreme globalism فهي: الاهتمام على قدم المساواة بجميع البشر، والعداء لأي نوع من التحيز تجاه بلد بعينه ومواطنيه. وتؤمن بعدم وجود قيود أخلاقية على السعي لتحقيق الأهداف العالمية[2].

– غالبًا ما ترتبط الوطنية بحب غير مشروط لبلد واحد وتدعمه، حتى على حساب جميع البلدان الأخرى. ويمكن أن يكون الوطني في هذا الشكل (وطنيًّا متطرفًا) خطيرًا وجذريًّا، في بعض الأحيان يستخدم العنف لتحسين بلده، دون استنفاد جميع الوسائل الأخرى لتحقيق أهدافه؛ غالبًا ما تكون الوطنية المتطرفة ضارة بالمجتمع. ومع ذلك، ينبغي تشجيع شكل مختلف من الوطنية. يستكشف ستيفن ناثانسون شكلًا من أشكال الوطنية يسمى "الوطنية المعتدلة".

فالوطني المعتدل، كما يصفه، لديه ولاء ومودة خاصة تجاه بلده، لكنه يعمل في حدود الأخلاق. وهذا يعني أنه إذا اتخذت دولة أو بلد الوطني المعتدل إجراءات غير أخلاقية، فإن الوطني المعتدل لن يدعمها. والوطنيون المعتدلون متساوون في حب بلدهم مثلهم مثل الوطنيين المتطرفين، بمقدار الحب نفسه تقريبًا. ومع ذلك، فإن الوطني المعتدل يحمِّل بلاده المسؤولية الأخلاقية، والوطني المتطرف يؤدي دوره به

(1) Nathanson, Stephen (2019): moderate patriotism, In: M. Sardoč (ed.), *Handbook of Patriotism*, by: Springer International Publishing AG, p.1. Accessed: 18/7/2019. https://doi.org/10.1007/978-3-319-30534-9_26-1.

(2) Nathanson, Stephen (2016): *Immigration, Citizenship, and the Clash Between Partiality and Impartiality*, P. 145.

إلى الحروب بشكل متكرر، في الوقت الذي تكون وسائل صنع السلام الأخرى من الممكن تحقيقها أو حتى بلوغها[1].

وفيما يتعلق بموقف ناثانسون من المهاجرين غير الوطنيين، فقد جاء رأيه وسطًا بين المعاداة المفرطة والموالاة غير الواقعية، وقال بـ"الوطنية المعتدلة"، حيث تتمثل الميزة الرئيسية لها في أنها تجمع بين درجة عالية من التحيز تجاه البلد الواحد مع درجة ما من الاهتمام المحايد لجميع البشر"[2].

بهذه التفرقة حاول ناثنسون أن تكون الوطنية المعتدلة التي يدعو إليها وطنية وسطية معتدلة تسعى لأن تتفادى عيوب الوطنيات المتطرفة، سواء إلى أقصى اليمين أم إلى أقصى اليسار، ولكن محاولته لم تَخْلُ من النقد كما سنعرض له فيما يأتي.

3- علاقة الوطنية المعتدلة بالفضيلة:

هل الوطنية فضيلة أخلاقية؟

يعتقد كثيرٌ من الأشخاص أن الوطنيَّة شعورٌ مناسب وطبيعي ناتج عن ارتباط الشخص بالوطن الذي وُلد وعاش فيه، وشكل من أشكال الشكر للفوائد التي عاد بها هذا الوطن عليه كالعيش على تربته، وبين مواطنيه، وتحت القوانين الخاصة به، بالإضافة لاعتبار الوطنية جزءًا مهمًّا من الشخصية، وينظر البعض إلى أن الوطنيّة أمرٌ أخلاقي إلزامي ومركز للأخلاق[3].

(122) Zimmer, Braedan (2017): *An Appeal to Moderate Patriotism*, by: The Compass Rose: Explorations in Thought, Accessed: 4/7/2019. https://wordpress.viu.ca/compassrose/an-appeal-to-moderate-patriotism/.

(2) Stephen Nathanson (2016): *Immigration, Citizenship, and the Clash Between Partiality and Impartiality*, P. 141.

(3) مشعل، طلال (2018): *مفهوم الوطنية*، موضوع، بتاريخ: 8 مايو 2018، تم الدخول: 2019/7/20. https://mawdoo3.com/

لكن الفلسفة الأخلاقيَّة؛ التي تُفسر الأخلاق باعتبارها عالميَّة ونزيهة بشكلٍ أساسي، تستبعد مفاهيم التعلق المحلي الجزئي والولاء، إذ يميل أنصار هذه الفئة إلى اعتبار الوطنية نوعًا من أنواع الأنانية الجماعية، وتحيُّزًا تعسفيًّا أخلاقيًّا ضد الإنسان ومخالفًا لمطالب العدالة العالميَّة والتضامن الإنساني المشترك، وهناك اعتراض آخر كذلك على الوطنية، إذ يُشير إلى أنها حصرية بطريقة خبيثة، بالإضافة إلى أنها خطيرة، حيث يتميَّز حب المرء لوطنه بالكراهيَّة والعدائية اتجاه الأوطان الأخرى، وهو ما يؤدي إلى تشجيع النزعة العسكرية التي تؤدي إلى ولادة توتّرات دولية ومشاكل[1].

يجادل –كما أوضحنا– كل من تولستوي وماكنتاير كما لو أن الوطنية المتطرفة هي الشكل الوحيد الممكن للوطنية. على الرغم من الاختلافات الشاسعة بينهما، فكلاهما يعزز فكرة أنه يجب على المرء الاختيار بين الشوفينية **chauvinism** والخيانة **disloyalty**. لقد جادلت بأن هذا خطأ، وقد دافعت عن الموقف الوطني المعتدل باعتباره موقفًا يتوافق مع متطلبات الولاء الوطني **national loyalty** ومتطلبات الأخلاق العالمية **universal morality**. بهذا المعنى دافعت عن الرأي القائل إنه من الممكن للوطنية أن تكون فضيلة. ومع ذلك، لا شيءَ مما قلتُه يعني أن مواطني جميع الأمم يجب أن يكونوا وطنيين[2].

ليس من العجيب أن تشجع السلطات القائمة في جميع الدول الوطنية وتؤيد الرأي القائل بأنها فضيلة، فإن المتحدثين باسم أي دولة يريدون أن يُشجعوا على إخلاصهم؛ حتى يتمكنوا من التماس الدوافع الوطنية لتحقيق الامتثال للقانون، وتشجيع دعم المواطنين لسياسات الحكومة. في توضيح هذه النقطة، لا أقصد تشجيع التشاؤم أو الإشارة إلى أن الوطنية ليست فضيلة. فحتى بالنسبة لأولئك

(1) المرجع نفسه.

(2) Nathanson, Stephen (1989): *In Defense of "Moderate Patriotism"*, P. 551.

الذين لم يعتادوا على رؤية أنفسهم وطنيين، فإن فكرة كَوْن الوطنية رذيلةً إلى حد ما صادمةٌ.

بالنسبة لمعظمنا، فإن "بلادنا" لا تشمل سياستها فحسب، بل تشمل لغتها وثقافتها وتاريخها المألوف، وجمالها الطبيعي، وعاداتها وأدبها، وأبطالها الشعبيين، وتاريخها الشخصي. فليس غريبًا أن يشعر معظم الناس ببعض الحب لبلدهم. وبهذا المعنى، حتى المغتربون سياسيًّا قد يكون لديهم مشاعر وطنية[1].

لو أن للناس أن يكونوا وطنيين إلا أن هذا يعتمد على قدرات أو صفات دولهم وحكوماتهم. أي أن الوطنية ليست ذاتية، وإنما تعتمد بالضرورة على موقف الشخص من دولته وحكومتها. فلو أن الدول تفتقر إلى الصفات التي تجعلها تستحق الولاء والإخلاص، فإن الوطنية فيما يتعلق بتلك الدول هي موقفٌ غير مناسب. إن تعبير الوطنية المقيدة أخلاقيًّا، المحدودة في مجموعة من الإجراءات التي تتطلب من المواطنين دعمها، مشروط بطبيعة الأمة التي يولون الولاء لها... إن المعالجة الكاملة للوطنية يجب أن تصف الظروف التي يجب على الدول الوفاء بها لتكون أدوات مناسبة للولاء الوطني[2].

قد يعتقد البعض أن الوطنية التي تحدها حدود وشروط لا يمكن اعتبارها ولاءً حقيقيًّا. والبديل، مع ذلك، هو شكل من أشكال الوطنية التي تكون خالية من القيود والظروف الأخلاقية التي تتطلب موافقة تلقائية حتى على أشنع الشرور، ما دامت تُفعَل باسم الأمة. إن الإصرار على أن الوطنية يجب أن تتخذ هذا الشكل المتطرف لكي تكون حقيقية هو تقويضٌ للادعاء بأن الوطنية هي المثل الأعلى المفيد لأصحاب الضمائر الحية أخلاقيًّا لاعتماده[3].

(1) Ibid. P.536.
(2) Nathanson, Stephen (1989): *In Defense of "Moderate Patriotism"*, p.551.
(3) Ibid.

على المستوى النظري، يشكك ناثانسون، مثل هورتون Horton (1891–1968)، في حُجة كيلر Keller's argument القائلة بأن الوطنية مرتبطة بسوء نية، ومن ثَم فهي رذيلة وليست فضيلة. لسبب واحد، قد لا تكون البدائل جذابة، إذا استعيض عن الوطنية بالأنانية الجامحة، أو بأشكال متطرفة من الولاءات الخاصة الأخرى، فإن ذلك سيجعل العالم الأسوأ، بدلًا من أن يكون مكانًا أفضل من غيره. كما أنه يتعارض مع وجهة نظر بريموريز Primoratz القائلة بأن الوطنية المعتدلة مسموح بها أخلاقيًّا، ولكنها ليست واجبة[1].

بهذا يؤكد ناثانسون أن الوطنية حين تكون وطنية معتدلة تكون فضيلة، وحين تكون وطنية متطرفة تكون رذيلة، ونتفق معه في هذا الرأي لوجاهته.

4- الوطنية المعتدلة والحرب

ثمة رأي مفاده: من يقول إن الدين هو سبب الحروب التي حدثت في تاريخ البشرية مخطئ، إنما كانت تلك الحروب باسم الوطنية... وهل أفسد هتلر العالم إلا باسم الوطنية!! وهل اشتعلت الحربان العالميتان إلا دفاعًا عن الوطنية!! وهل غزت إنجلترا وفرنسا الشعوبَ العربية إلا لأنها استغلَّت شعوبها وخدعتها باسم الوطنية!! وهل الحرب بين العرب وإسرائيل إلا بسبب الوطنية!! كل منهما يقول: فلسطين وطني وأرضي[2].

إذا كان تولستوي وغيره قد رأوا أن الوطنية هي سبب حدوث الحروب، فماذا يكون رأي ناثانسون الذي وصف وطنيتهم بالمتطرفة؟

---

(1) Primoratz, Igor and Pavković, Aleksandar (2007): *Patriotism Philosophical and Political Perspectives*, P.5.

(2) عبد الفتاح، هاني(2018): *خدعة مفهوم الوطنية؟*، الحوار الحوار المتمدن– العدد: 5920– 1/ 7 / 2018، تم الدخول: 2019/7/18.
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=604016&r=0

يتساءل ناثانسون: هل يمكن تسويغ الوطنية وغيرها من أشكال التحيز الجماعي؟ وما الحدود الأخلاقية على الإجراءات التي تُنفَّذ لصالح البلدان والمجموعات الأخرى؟ وأنا أسأل خاصة: هل يمكن للتحيز تجاه البلد الواحد (أو المجموعات الأخرى) أن يسوّغ مهاجمة مدنيين أعداء لتحقيق النصر أو أهداف سياسية أخرى؟[1].

يجيب ناثانسون عن ذلك بقوله: "إن أخلاق الفطرة السليمة أو الحس المشترك commonsense morality ليس لها هيكل محدد، بل هي مجرد مجموعة عشوائية من المعتقدات. بدلًا من ذلك، إنها شبكة تضم العديد من الفروع المختلفة، لكل منها بِنْية ووحدة. لسوء الحظ، لا تتوافق هذه السلاسل معًا توافقًا متسقًا[2].

في حين أن الجدال الإنساني يأخذ على محمل الجد قيمة الناس جميعًا، ويدعم الجهود الرامية إلى تجنب قتل المدنيين في وقت الحرب، فإن أخلاق الفطرة السليمة تحتوي أيضًا على فروع غير عالمية تنافس النزعة الإنسانية. إذ يُظهر فرع "الوطنية" المنافِسة درجة قوية من التحيز الوطني؛ إذ تسمح لنا أخلاق الفطرة السليمة بإعطاء قيمة أكبر لمن هم "قريبون منا"، و"أعزاء علينا"، لإعطاء الأولوية لأعضاء المجموعات التي نتعرف عليها. وعندما تتعارض مصالح مجموعاتنا الشخصية أو القومية مع مصالح الغرباء البعيدين، فإن أخلاق الفطرة السليمة تسمح لنا بإعطاء الأولوية لفئتنا أو جماعتنا الخاصة[3].

في زمن الحرب، غالبًا ما تفسح الحماية الإنسانية –التي تمتد لتشمل مدنيِّي الأعداء– المجال لفرع الوطنية والقومية، وأخلاق الفطرة السليمة، وهو ما يؤدي إلى

(132) Nathanson, Stephen (2009): *Patriotism, War, and the Limits of Permissible Partiality*, Springer Science+Business Media B.V., U.S.A. P.401.
(2) Nathanson, Stephen (2010): *Terrorism and the Ethics of War*. New York: Cambridge University Press, p.84.
(3) Ibid. P.84.

الموافقة على الهجمات على المدنيين، إذا كانت ضرورية لتحقيق النصر أو حماية الجنود. ففي ظل ضغوط الحرب، تضعف الفروع الإنسانية لأخلاق الفطرة السليمة، وتفسح المجال أمام مخاوف أضيق نطاقًا وأكثر حدة. إن الهجمات على المدنيين التي تُدَانُ عادةً أصبحت مقبولة أخلاقيًّا. وقد وصف ألكساندر داونز هذا التحول في الرأي الأخلاقي في الولايات المتحدة في كتابه عن الحرب العالمية الثانية[1].

ومن هذا المنطلق جاء موقف ناثانسون معتمدًا على استخدامه نهجَ نفعيةِ القاعدة، ثم يقول:

(أ) أدافع عن شرعية التحيز الوطني "المعتدل"، ولكن...

(ب) أجادل بأن حصانة غير المقاتلين تفرض قيودًا مطلقة على ما يمكن فعله لتعزيز مصالح بلد أو مجموعة أخرى متورطة في الحرب أو غيرها من أشكال الصراع العنيف"[2].

مشكلة ازدواجية المعايير

عند الحديث عن كيفية التفرقة بين المحارب المدافع عن وطنه وبين الإرهابي، نجد ناثانسون يُعرِّف الإرهابي بأنه: مَن يحارب حرية شخص آخر. وقد أثارت هذه المشكلة التحدي المتمثل في "الذاتية"، التي يصفها ستيفن ناثانسون بأنها "مسألة ذوقية أكثر من كونها موضوعية". إذ إن أشهر الحالات التاريخية مثالًا على ساسة الكيل بمكيالين هو مقتل الأرشيدوق فرانز فرديناند Archduke Franz Ferdinand النمساوي في 28 يونيو 1914 في سراييفو على يد غافريلو برينسيبي Gavrilo Princip (عضو في منظمة الشباب البوسنية). الذي وصفته النمسا وألمانيا بأنه

(1) Ibid. P.84.
(136) Nathanson, Stephen (2009): *Patriotism, War, and the Limits of Permissible Partiality*, Springer Science+Business Media B.V., U.S.A. P.401.

إرهابي، في الوقت الذي رأت صربيا وحلفاؤها أن تصرفه من أكثر أشكال التعبير عن الوطنية صدقًا[1].

مما سبق نستنتج أنه مهما كان الإنسان ملتزمًا بالمعايير الأخلاقية العالمية التي تقوم على القاعدة الذهبية: عامِلِ الآخرين كما تحب أن يعاملوك، لكن في لحظات القتال تتغلب العاطفة على الإنسان وتتملكه، فتجعله لا يرى أمامه إلا التفكير في نصرة وطنه، حتى ولو كان على حساب تلك الأخلاق العالمية.

5- تقييم الوطنية المعتدلة عند ناثانسون وموقفنا منها

رغم كون الوطنية المعتدلة الأقرب للفطرة السليمة من الوطنية المتطرفة بشقيها، فإن هذا لا يحول بينها وبين تعرضها للنقد البنَّاء أو الهدَّام.

ومهما يكن من أمر فإن الوطنية المعتدلة واجهت انتقادات من قبل جانبين: فالوطنيون المتطرفون يرفضونها لعدم كونها وطنية بما فيه الكفاية. بينما يرفضها الشموليون العالميون (الذين يُطلق عليهم أيضًا الكوزموبوليتانيون) لأن الوطنية تعطي الأولوية لاحتياجات بلدها ومصالحها، وتفشل في التعامل مع جميع الناس من جميع البلدان على قدم المساواة[2].

ماذا لو كانت مصلحة وطنٍ غني تتعارض ومصلحة وطن فقير؟ ألم يكن من الأجدى بالدول الغنية أن تساعد الدول الفقيرة؟ وماذا لو رفضت هذه الدول الغنية مساعدة الدول الفقيرة، ألا يتناقض ذلك مع العمل بالأخلاق العالمية التي ينادي بها ناثانسون؟[3].

(1) Nathanson, Stephen (2010): *Terrorism and the Ethics of War*, p.4.
(2) Nathanson, Stephen (2019): moderate patriotism, p.1.
(3) McCabe, David (1997):*Patriotic Gore, Again*, Colgate University, The Southern Journal of Philosophy (1997) Vol. XXXV. P. 218.

يهدف ناثانسون إلى إظهار أن هذا النوع من الوطنية –العالمية– يتوافق وفرضية أن حياة كل شخص لها القيمة نفسها، وأن الأخلاق الكونية يمكنها أن تستوعب الوطنية[1].

يجب أن يوضح ناثانسون أيضًا كيف أن آثار الوطنية لا تشكل على الأرجح خروجًا خطيرًا عن الاهتمام العالمي؟ وهذا ما جعله يقول: "ولاؤنا يجب أن يتحقق في الحدود التي تفرضها الأخلاق علينا". وأن تحيزنا محدود بسبب "واجبنا في مساعدة الآخرين عندما يكونون في ظروف قاسية، وعندما يكون مجتمعنا في وضع جيد بما فيه الكفاية، وهذا لن يتضرر تضرُّرًا خطيرًا من تحويل الموارد للآخرين". ما يعنيه هذا، بالطبع، هو أن الوطنيين المعتدلين بحاجة إلى أن يسألوا أنفسهم عن أنواع الآثار التي يمكن أن تحدثها وطنيتهم على البشر في جميع أنحاء العالم[2].

على الرغم من أن تَمَسُّك الوطنية المعتدلة بالأخلاق يفصلها عن النزعات التفضيلية الخطيرة للوطنية المتطرفة، فإن الساديرماكنتاير ينتقد الوطنيين المعتدلين لعدم كونهم وطنيين حقيقيين. إنه يشكك في القناعة التي يدعمون بها بلدهم عندما تؤدي المواقف إلى تصرفات وطنية تتعارض مع الأخلاق[3].

أحد الأمثلة التي يقدمها ماكنتاير هو تصور البلد "للحياة الخيِّرة". إذ يدعي ماكنتاير أن الوطنية المعتدلة لا يمكن التوفيق بينها وبين وجهة نظر أخلاقية. ويستخدم مثال هنود الإيروكوا، موضحًا أن الغارات على أعدائهم التقليديين هي جزء مهم من "حياتهم الخيرة"[4].

(1) McCabe, David (1997):*Patriotic Gore, Again*, P. 216.
(2) McCabe, David (1997):*Patriotic Gore, Again*, P. 217.
(3) Zimmer, Braedan (2017): *An Appeal to Moderate Patriotism*.
(4) Ibid.

يلخص ناثانسون حُجة ماكنتاير: "الوطنية المعتدلة فارغة؛ لأنها تتطلب التضحية بأسلوب حياة الفرد إذا أظهر التقييم الأخلاقي الموضوعي أنها خاطئة"[1].

لكنه لا يتفق مع ماكنتاير، مؤكدًا أن الوطنيين المعتدلين يمكنهم إدراك الحاجة إلى تغيير بعض جوانب ثقافتهم، لكن هذا لا يعني أنهم لا يفهمون ما يخسرونه، أو أنهم لن يعملوا لمحاولة إيجاد طرق أخرى للتعبير عن جوانب الثقافة التي تحتاج إلى التعبير[2].

يدعي ناثانسون أن هذه الغارات، أمام الإيروكوا، إذا كانت فرصةً لإثبات الإنجازات العالية للشجاعة والمهارة القتالية، فإن الوطنيين المعتدلين الذين عملوا على إيقاف الغارات قد يبحثون أيضًا عن منفذ مختلف لعرض فضائل ثقافتهم. ويواصل كلامه قائلًا: إذا كانت أفعال بلد معين مستثناة من النقد الأخلاقي؛ لأنها ضرورية للحياة الخيرة، فعندئذ "لن نكون قادرين على إدانة العبودية؛ لأن جماليات حياة المزارع تتطلب ذلك"[3].

تشير هذه الحُجج إلى أن الوطنيين المعتدلين يفضلون بلدهم بالفعل ويحبونها، لكنهم يؤكدون أنه حتى أفعال بلدهم ليست محصنة من المراقبة الأخلاقية Moral Scrutiny[4].

وفيما يتعلق بآثار الأخلاق على شؤون البلد، فإن الوطنية المعتدلة تعد أفضل من الوطنية المتطرفة؛ لأنها أقل مواتاةً للحرب؛ أي تقلل الدخول أو الخوض في الحرب. الوطنية المعتدلة لا تختلف كثيرًا عن العنصرية؛ وذلك لاعتقاد كل منهما بالولاء لوطن ما اعتقادًا جازمًا بأنه الأفضل من غيره. أليس في تعريف ناثانسون

(1) Zimmer, Braedan (2017): *An Appeal to Moderate Patriotism*.
(2) Ibid.
(3) Ibid.
(4) Ibid.

السابق للوطنية بأنها (تعطي الأولوية الأعلى لبلد واحد) شيء من الانحياز والتعصب لهذا البلد لا يقل عن تحيز دعاة العنصرية؟! وإن كنا نؤمن بوجود فارق نسبي بين تحيز الوطني المعتدل وتحيز العنصري من حيث المقدار.

ورغم كل ما سبق فإن الوطنية المعتدلة التي نادى بها ناثانسون أقرب للصواب من غيرها، على أقل تقدير من الناحية الأخلاقية والنظرية، وإن كان تحقيقها على المستوى الواقعي يصعب تحقيقه بنسبة كبيرة، لكن باستقراء تاريخ الحضارات نجد أن الإسلام كان خيرَ مَن عبَّر عن حب الوطن والولاء لله، مع عدم معاداة الأوطان الأخرى، بل تمنى لها خيرَيِ الدنيا والآخرة. وقد التزم المسلمون بأخلاقهم العالمية الإنسانية حتى في أشد المواقف ضراوة كالحروب، فقد ألزم الشارعُ أتباعَه ألا يكسروا قواعده الأخلاقية حتى في حالة كسر العدو لها، مثل: تحريم قتل المدنيين حتى لو قتل العدو مدنيِّي المسلمين، ألم يكن جديرًا بهذه الأخلاق أن تُدرس في جامعات العالم كله؟!!

خاتمة البحث

أولًا: نتائج البحث:

من خلال الإجابة عن تساؤل البحث الرئيسِ: ما المواطنة؟ وما الوطنية عند ستيفن ناثانسون؟ توصلنا إلى النتائج التالية:

أولًا: اتفاق المفهوم اللغوي للمواطنة في اللغة العربية مع اللغات الأخرى، واختلاف التعريف الاصطلاحي بين المفكرين نظرًا لاختلاف بيئاتهم ومعتقداتهم، وأديانهم وانتماءاتهم، وأيدلوجياتهم؛ فمنهم مَن جعل مِن المواطنة انتماء للقيم، ومنهم مَن جعلها مفهومًا اجتماعيًّا سياسيًّا، ومنهم مَن ربطها بالدين... إلخ.

ثانيًا: المواطنة عند ناثانسون مواطنةٌ عالمية، إذ الانتماء للجنس البشري، أي الولاء للإنسان كإنسان في ذاته بغضِ النظر عن عرقه، أو دينه، أو جنسه، أو بلده... إلخ، مع السماح لكل أصحاب هوية الاحتفاظ بهويتهم التي ينتمون إليها حتى وإن اختلفوا معنا.

ثالثًا: المواطنة والوطنية ليستا مفهومًا واحدًا؛ فالمواطنة تعبر عن موقف الدولة تجاه المواطنين، وتحديد ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات تجاه وطنهم. أما الوطنية فهي موقف المواطن تجاه دولته من حيث الحب والانتماء والولاء.

رابعًا: تبنِّي ستيفن ناثانسون للمواطنة العالمية المقيدة بالاتجاه النفعي، وخاصة ما يسمى بنفعية القواعد الأخلاقية التي تهدف للبحث عن المنفعة العامة في إطار التقييد الأخلاقي الإنساني العام.

خامسًا: يختلف الحديث عن المواطنة والوطنية، وما ينبغي أن تكون عليه كل منهما من دولة أو من بلد لأخرى؛ نظرًا لاختلاف تطبيقهما وآلية التعامل من خلالهما، بالإضافة إلى ظروف المواطنين أنفسهم ومستواهم الثقافي، والعلمي، والاجتماعي... إلخ في تعاملهم مع هذه المفاهيم والمبادئ.

سادسًا: للوطنية عند ناثانسون سمات خاصة، أهمها أنها مكتسبة وليست فطرية، وهي كذلك أخلاقية؛ فالوطني هو الذي يضع المصلحة العامة فوق كل اعتبار، ويتجرد من الميول والأهواء الشخصية لصالح وطنه.

سابعًا: الشوفينية ومعاداة الوطنية نزعتان متطرفتان تتعارضان مع الأخلاق، فالمغالاة في تقديس الوطن على حساب القيم الإنسانية العالمية مذمومة، وكذلك معاداة الوطنية مرفوضة.

ثامنًا: تقوم الوطنية المعتدلة عند ناثانسون على أساس أخلاقي نفعي، يعتمد على نفعية القاعدة الأخلاقية التي تتمثل في حب جميع الأوطان، وليس للوطن الذي ننتمي إليه فقط، وليست النفعية المتطرفة.

تاسعًا: ارتباط الوطنية بالناحية الوجدانية، بمعنى أنه ليس الاختلاف مع النظام وأفراده اختلاف مع الوطنية نفسها (الوطن)، فهناك فارق كبير بين موالاة أفراد وأشخاص النظام الحاكم وكراهيتهم، وبين حب الوطن والولاء له. فالأولى قد نختلف بشأنها، أما الأخرى (حب الوطن) فلا يختلف حولها اثنان. ومن ثَم فالوطنية نسبية ومتغيرة من فرد لآخر، وليست قوالب جامدة.

عاشرًا: رغم اختلاف الفلاسفة حول الوطنية المحلية والعالمية، وهل تقوم على أساس دين أو أخلاقي أو سياسي أو عِرقي، فإن ناثانسون قد جمع بين ما هو مفرَّق، فذهب إلى أن الوطنية قيمة سياسية وأخلاقية وعالمية في آنٍ واحد.

<u>ثانيًا: توصيات البحث</u>

أولًا: توصي الدراسة بضرورة البحث الجاد حول المواطنة والوطنية وقيمهما، ومعرفة أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما، والحذر من استخدامهما مترادفتينِ.

ثانيًا: ينبغي على صنَّاع القرار ومتخذيه أن يعملوا عملًا جادًّا حول ترسيخ قيم المواطنة بين أبناء الوطن جميعًا دون أدنى تفرقة على أساس الدين أو العِرق أو الجنس، أو النوع، أو اللون، بل يجب معاملة الجميع سواء بسواء.

ثالثًا: علينا الرجوع إلى قِيَم تراثنا العربي والإسلامي التي تحثنا –نحن المواطنين– على الولاء للوطن والتفاني من أجله، في الوقت نفسه تأخذ بيد الحكَّام والمسئولين لتحقيق العدل والمساواة بين الجميع، بدلًا من أن نستوردها من مفكري الغرب وحكمائهم، لأنها في الأساس بضاعتنا وقد رُدت إلينا.

رابعًا: على مؤسسات الدولة جميعها: السلطات الثلاث، والإعلام والصحافة، والعلماء والمفكرين والسياسيين الحثُّ على ترسيخ قيم الوطنية في نفوس النشء والشباب منذ نعومة أظفارهم وتنميتها.

خامسًا: يقع على عاتق الأسرة والمدرسة والجامعة مهمة تنمية روح حب الوطن لدى أبناء الوطن، وعدم تركهم لأية عوامل مؤثرة داخلية أو خارجية تعبث بفكرة حب الوطن أو تعمل على زعزعتها.

سادسًا: ما أحوجنا في ظل هذا العالم المليء بالدمار والحروب –مع وجود الخونة المعادين للوطن والمرتزقة الذين يتغنون بمصطلحات الوطنية وهي منهم براء– إلى فكر معتدل تجاه الوطن، كفكر ناثانسون، الذي عبَّر عن ثلاثية مهمة (الوطنية . الأخلاق . السلام) وهي عنوان كتابه الرئيس في بحثنا.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا، مصادر ستيفن ناثانسون:

أ – الكتب:

(1) **Nathanson, Stephen (1993):** ***Patriotism, Morality, and Peace*****, Rowman & Littlefield Publishers, INC, U.S.A.**

(2) **…… (1993):** ***Patriotism, Morality, and Peace*****, Rowman & Littlefield Publishers, INC, U.S.A.**

(3) **…… (2009):** ***Patriotism, War, and the Limits of Permissible Partiality*****, Springer Science+Business Media B.V., U.S.A.**

(4) **…… (2010):** ***Terrorism and the Ethics of War*****. New York: Cambridge University Press.**

ب- المقالات والدوريات:

(5) **Nathanson, Stephen (1989): In Defense of "Moderate Patriotism", Ethics, Vol. 99, No. 3 (Apr., 1989), Published by: The University of Chicago Press, U.S.A., Stable URL:** http://www.jstor.org/stable/2380865.

(6) **..... (2016): Immigration, Citizenship, and the Clash Between Partiality and Impartiality, in: A.E. Cudd, W.-c. Lee (eds.), Citizenship and Immigration - Borders, Migration and Political Membership in a Global Age, AMINTAPHIL: The Philosophical Foundations of Law and Justice 6, DOI 10. Springer International Publishing Switzerland.**

(7) **..... (2019): moderate patriotism, In: M. Sardoč (ed.), Handbook of Patriotism, by: Springer International Publishing AG,. Accessed: 18/7/2019.** https://doi.org/10.1007/978-3-319-30534-9_26-1**.**

ثانيًا، المراجع الأجنبية

(8) **Ann E. Cudd • Win-chiat Lee (Editors) (2016): Citizenship and Immigration - Borders, Migration and Political Membership in a Global Age, Springer International Publishing Switzerland, U.S.A.**

(9) **Barnhart, Robert K., ed., (1988): Barnhart Dictionary of Etymology, H.W. Wilson Co.,** https://www.etymonline.com/word/patriot**.**

(10) Depalma, Anthony (1995): The World; Racism? Mexico's in Denial., The New York Times, June 11, https://www.nytimes.com/1995/06/11/weekinreview/the-world-racism-mexico-s-in-denial.html.

(11) **Diggs, Nancy Brown (1998): Steel Butterflies: Japanese Women and the American Experience. Albany: State Univ. of New York Press.**

(12) **Druckman, Daniel (1994): Nationalism, Patriotism, and Group Loyalty: A Social Psychological Perspective, Mershon International Studies Review, Vol. 38, No. 1 (Apr., 1994.**

(13) **Edgar, Campbell (2019): Is patriotism like racism?,.https://www.academia.edu/9785974/Is_Patriotism_like_Racism?auto=download.**

(14) **(Encyclopedia Britannica, Citizenship, 2016, URL:** https://www.britannica.com/topic/citizenship**.**

(15) **Gutting, Gary (2012): Is Our Patriotism Moral?, Opinionator , A Gathering of Opinion From Around the Web,https://opinionator.blogs.nytimes.com/2012/07/03/is-our-patriotism-mor-**

al/?mtrref=www.google.com&gwh=1876E9A38FC2E8A77F85171E43471D71&gwt=pay.

(16) **Jhon Moles (1991) : Le Cosmopolitsme Cynique in Le Cynisme Ancien et ses Prolongement, Actes du Collogue International du CNRS, Paris, 22-25 Juillet 1991.**

(17) **Macintyre, Alasdair (1984): Is Patriotism A Virtue?, by: Department of Philosophy, University of Kansas, U.S.A.**

(18) **McCabe, David (1997):Patriotic Gore, Again, Colgate University, The Southern Journal of Philosophy (1997) Vol. XXXV.**

(19) **Primoratz, Igor and Pavković, Aleksandar (2007): Patriotism Philosophical and Political Perspectives, Ashgate Publishing Limited, U.S.A.**

(20) **Primoratz, Igor,(2019) "Patriotism", The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Spring 2019 Edition), Edward N. Zalta (ed.), URL =** https://plato.stanford.edu/archives/spr2019/entries/patriotism.

(21) **Review : Nathanson, Stephen (1989): In Defense of "Moderate Patriotism", Ethics. https://books.google.com.eg/books?redir_esc=y&hl=ar&id=F6-FAAAAMAAJ&focus=searchwithinvolume&q=+dangerous.**

(22) **Rogers, Pat (2006), "Johnson, Samuel (1709–1784)", Oxford Dictionary of National Biography, (online ed.), Oxford University Press, retrieved 25 August 2008. https://www.oxforddnb.com/**

(23) **Rosenthal, Joel (2009): Patriotism and Cosmopolitanism, Carnegie Council for ethics in International Affairs, Jul 18, 2009, https://www.joelrosenthal.org/patriotism-and-cosmopolitanism/.**

(24) **Sardo~, Mitja (2017): The anatomy of patriotism, by: Slovene Anthropological Society, Anthropological Notebooks 23, Slovenia.**

(25) **Stephen Nathanson in the 1940 Census, by: ancestry,** https://www.ancestry.com/1940-census/usa/New-York/Stephen-Nathanson_49qsm**,.**

(26) **Stephen Nathanson Professor Emeritus, northeastern University, College of Social Science and Humanities,** https://cssh.northeastern.edu/people/faculty/stephen-nathanson/**.**

(27) Soanes, Catherine (ed.) (2006): Compact Oxford English Dictionary for University and College Students , Oxford: Oxford University, Press.

(28) **Spartan of Truth The Quest for Liberty, Archive for Professor Stephen Nathanson, https://spartanoftruth.wordpress.com/tag/professor-stephen-nathanson/**

(29) **Subjudiced (2014): Patriotism – is it stupid and immoral?, sted: August 14, 2014, Filed under: Patriotism, Philosophy, https://subjudiced.wordpress.com/category/patriotism.**

(30) **Zimmer, Braedan (2017): An Appeal to Moderate Patriotism, by: The Compass Rose: Explorations in Thought. https://wordpress.viu.ca/compassrose/an-appeal-to-moderate-patriotism/.**

رابعًا، المراجع العربية:

(31) **أحمد المومني (2009): *دراسات ومفاهيم حديثة (الثقافة الإسلامية)*، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.**

(32) **الخشت، محمد عثمان (2014): *فلسفة المواطنة وأسس بناء الدولة الحديثة*، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الطبعة الأولى.**

(33) **القحطاني، سالم على (1998): التربية الوطنية (مفهومها، أهدافها، تدريسها)، مكتب التربية العربي لدول الخليج، رسالة الخليج العربي، العدد 66.**

(34) **الكندري، يعقوب يوسف (2008): دور التنشئة الاجتماعية والإعلام والمجتمع المدني في تحقيق الوحدة الوطنية"، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر الوحدة الوطنية، رابطة الاجتماعيين، 24- 2008/3/25. الكويت.**

(35) **ساندل، مايكل ج. (2009): *الليبرالية وحدود العدالة*، ترجمة، محمد هناد، مراجعة، الزبير عروس وعبد الرحمن بوقاف، الطبعة الأولى، بيروت، المنظمة العربية للترجمة.**

(36) **سفر، محمود وآخرون (1421هـ): *الوطنية كائن هلامي*، الرياض، كتاب المعرفة، الرياض، وزارة التربية والتعليم.**

(37) شنابر، دومينيك و باشولييه، كريستيان (2016): *ما المواطنة*، ترجمة: سونيا محمود نجا، القاهرة، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى.

(38) صفرار، عبد الله بن محمد بن بخيت (2017): دور شبكات التواصل الاجتماعي في ترسيخ قيم المواطنة من وجهة نظر الشباب الجامعي العُماني، إشراف الأستاذ الدكتور/ رائد أحمد البياتي، كلية الإعلام- جامعة الشرق الأوسط، عمان-الأردن، 2017م.

(39) مونتسكيو (2013): روح الشرائع، ترجمة، عادل زعيتر، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص 46 .

(40) ناصر، إبراهيم (2003): المواطنة، عمان، مكتبة الرائد العلمية.

خامسًا، المقالات والدوريات العربية:

(41) الحبيب، عبد الرحمن (1434هـ): *هل ستنتهي الوطنية الحديثة؟* مجلة الجزيرة الإلكترونية، العدد 14851، الاثنين 17 رجب، الرياض، المملكة العربية السعودية، تم الدخول: 2019/6/28. http://www.al-jazirah.com/2013/20130527/ar2.htm

(42) الدريس، زياد (2014): *الوطنية والمواطنة*، مجلة الحياة السعودية، بتاريخ: 26 سبتمبر 2018. تم الدخول: 2019/7/6.
http://www.alhayat.com/article/4604491

(43) الشملان، فاطمة (2017): *الإنسانيات والنسوية: حوار مع مارثا نوسباوم*، 31 أكتوبر، عن موقع حكمة، تم الدخول: 2019/7/17. https://hekmah.org/

(44) المسلاوي، منال عبد المجيد محمود (2015). "تفعيل قيم المواطنة على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع". ورقة عمل، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، عمان، الأردن. مجلة صوت الدعاة، تم الدخول: 2018/4/12. https://www.du3ah.com/

(45) المعمري، سيف بن ناصر بن علي(2014)، التربية من أجل المواطنة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية: الواقع والتحديات، مجلة رؤى إستراتيجية، عمان.

(46) اليونسكو (2015): *التربية على المواطنة العالمية مواضيع وأهداف تعلمية*، بيروت- لبنان، ص 14. تم الدخول: 2018/7/21. http://unesdoc.unesco.org/

(47) إمام، عبد الفتاح إمام (2013): *الفلسفة وقضايا العصر*، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، العدد 124.

(48) بادجر، فيلر (2018): لغز *الوطنية: بين الفردانية والانتماء إلى الجماعة*، ترجمة، عصام حمزة، إضاءات، 19 فبراير، تم الدخول: 2019/7/25. https://www.ida2at.com/nationalism-between-individuality-and-belonging-to-the-community/

(49) جمعة، حسين (2006): *الوطن والمواطنة*، مجلة الفكر السياسي، عدد 25، دمشق.

(50) حمزة، مالك حميد (2009): *إشكالية المواطنة في الفكر الإسلامي السياسي*، مجلة أهل البيت عليهم السلام، العدد 9، بغداد، 2009.

(51) خضر، مجد (2016): تعريف المواطنة لغةً واصطلاحًا، ٢٢ يونيو ٢٠١٦. موضوع، تم الدخول: 2018/3/15. http://mawdoo3.com/.

(52) خطاب، حسن السيد(د.ت): *حقوق المواطنة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة*، جامعة المنوفية، عن: محمد إقبال من ديوان "أسرار إثبات الذات"، ص 4. http://saaid.net/book/19/12288.pdf

(53) خليفة، علي (2015): *هل تكون المواطنة العالمية مشروعًا للسلام الدائم؟* أعمال المؤتمر الدولي العاشر حول التضامن الإنساني، طرابلس، 18 ديسمبر، تم الدخول: 2019/7/25.

(54) رشيد، فايز(2017): *المفترض أن الولاء الوطني قبل السياسي؟* مجلة القدس العربي، تم الدخول: 2019/7/5. https://www.alquds.co.uk/%EF%BB%BF

(55) شرود، إدريس (2017): *معنى أن تصير سينيكيًا؟*، مجلة أنفاس نت من أجل الثقافة والإنسان، بتاريخ: 22 ديسمبر 2017. https://www.anfasse.org/

(56) صباغ، علي (2014): *نحو عصر جديد في تربية المواطنة*، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية– مركز جيل البحث العلمي– الجزائر، العدد الثاني.

(57) عبد الرازق، عماد الدين إبراهيم (د.ت): *الشوفينيّة بحث في المصطلح وتاريخه ومذاهبه الفكرية*، سلسلة مصطلحات معاصرة 12، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية العتبة العباسية المقدسة.

(58) عبد الفتاح، هاني(2018): *خدعة مفهوم الوطنية؟*، الحوار الحوار المتمدن- العدد: 5920- 1/ 7 / 2018، تم الدخول: 2019/7/18.
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=604016&r=0

(59) عبد اللاوي، الناصر(2013): *التواصل والحوار أخلاقيات النقاش في الفكر الفلسفي المعاصر*، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان، دار الفارابي.

(60) عرابي، محمد عباس محمد (2013): *دور الأسرة والمدرسة في تنمية الوطنية والمواطنة في نفوس الأطفال*. ندوة ثقافة الطفل الهوية والمتغيرات العصر (17-19 ربيع الآخر 1430هـ)، تم الدخول: 2018/4/15. http://www.startimes.com/f.aspx?t=22918533.

(61) *ما الشوفينية: الكلمة الأكثر رواجًا في صراع أربيل مع بغداد؟* مقال على موقع: ارفع صوتك، بتاريخ: 29 سبتمبر 2017. تم الدخول: 2019/7/6.https://www.irfaasawtak.com/a/394599.html

(62) محمد، عربي لادمي (2017): *المواطنة: دراسة في المفهوم القيم والأبعاد*، عن موقع المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والاقتصادية والسياسية، بتاريخ: 18 فبراير. تم الدخول: 2018/7/25. https://democraticac.de/

(63) مشعل، طلال (2018): *مفهوم الوطنية*، موضوع، بتاريخ: 8 مايو 2018، تم الدخول: 2019/7/20. https://mawdoo3.com/

(64) مولر، يان فيرنر(2017): *الوطنية الدستورية: ما بعد القومية أم ما بعد الانتماء؟*، ترجمة، رشيد بوطيب، العربي الجديد، 16 يونيو، تم الدخول: 2019/7/17.
https://www.alaraby.co.uk/culture/2017/6/16/

(65) ناريك ماليان (2018): *نقطة الصفر (رواية)*، ترجمة: طوركيان لابراديل، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع.

(66) هويدي، فهمي (1995): *المواطنة في الإسلام*، جريدة الشرق الأوسط، العدد 5902.

(67) ولد سيدي، محمد (2019): *ميلاد جديد يعزز الوحدة الوطنية؟* جريدتي، بتاريخ: 2019/1/29، تم الدخول: 2019/7/21. http://jeridety.com/01292019-0140

سادسًا، المعاجم والموسوعات:

(68) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (1968): *لسان العرب*، بيروت، دار صادر.

(69) الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى(2001): *تاج العروس من جواهر القاموس*، الكويت.

(70) العلوي، ياسر (2014): معجم *المصطلحات السياسية*، سلسلة كتب 2014، معهد البحرين للتنمية السياسية.

(71) بدوي، أحمد زكي (1978): معجم *مصطلحات العلوم الاجتماعية*، إنجليزي، فرنسي، عربي، بيروت، مكتبة لبنان.

سابعًا، المعاجم والموسوعات الإلكترونية:

(72) الموسوعة السياسية ***political encyclopedia*** ، تم الدخول: 2019/7/17. https://political-encyclopedia.org/index.php/about

(73) الموسوعة العربية العالمية (1996): الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.

(74) تعريف ومعنى شوفينية في قاموس المعجم الوسيط، واللغة العربية المعاصر، والرائد، ولسان العرب، والقاموس المحيط. وقاموس عربي عربي. تم الدخول: 2019/7/6.

(75) https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar

(76) (معجم المعاني الجامع)

مواطنة/https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar. تم الدخول: 2019/2/27.